جامـعة اليـرموك
كلية الشريعة
قسم الدراسات الإسلامية

رسالة ماجستير بعنوان

العمليات التربوية للقلب وسماته في القرآن والسنة وتطبيقاتها في بِنْية الشّخصية

Education Processes of The Heart and Its Features in The Quran and Sunnah and their Impact in Building the Character

إشراف الأستاذ الدكتور

عدنان مصطفى خطاطبة

إعداد الطالبة

نسرين محمد أحمد الطراد

2016

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"العمليات التربوية للقلب وسماته في القرآن والسنة وتطبيقاتها في بِنْية الشّخصية"

"Education Processes of The Heart and Its Features in The Quran and Sunnah and their Impact in Building the Charactes"

إعداد الطالبة :

نسرين محمد أحمد الطراد

بكالوريوس الدراسات الإسلامية- مسار الدراسات الأسرية- جامعة اليرموك- ٢٠١٣م.

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية- قسم الدراسات الإسلامية- كلية الشريعة- جامعة اليرموك- إربد- الأردن.

لجنة المناقشة

أ.د. عدنان مصطفى خطاطبة ..... مشرفاً

أستاذ التربية الإسلامية في كلية الشريعة، جامعة اليرموك

د. محمود حامد مقدادي ..... عضواً

أستاذ مشارك في أصول التربية، كلية التربية، جامعة آل البيت.

د. إنشراح أحمد البيرودي ..... عضوا

أستاذ مساعد في التربية الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.

تاريخ مناقشة الرسالة: الفصل الدراسي الأول/ يوم الاثنين/١٠/١٠/٢٠١٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــــداء

إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ يَحمِلُ دَاخِلَ صَدْرِهِ قَلْبَاً عَرَفَ اللهَ تَعَالَى وَأَحَبَّه،

وسَخَّرهُ لِتحقيْقِ غَايَةِ وُجُودِهِ وَخَلْقِهِ،

وَأَشْغلَهُ فِي خِدْمةِ بَنِي الإِنْسَانِ،

أهدي هذه الرسالة العلمية.

الباحثة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشـكر والتقديـر

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾
(الأحقاف:15)

أشكر الله العظيم المَنّان أنْ فَتَحَ على قلبي لإتمام هذه الدراسة، وأسأله سبحانه أنْ يتقبلها خالصة لوجهه الكريم.

وإتماما لشكر الله، أتقدَّم بالشكر إلى معلمي المشرف على هذه الدراسة الأستاذ الدكتور عدنان مصطفى خطاطبة الذي تحمّل كثرة أسئلتي وتابعني في أدق تفاصيل بناء الرسالة، وأجهد نَفْسَه في تقديم كل عون ونصح لي، وكابد معي سهر الليالي لإخراج الدراسة بالصورة المطلوبة، فجزاه الله خير ما جزى عالماً عن تلميذه، وله منّي كلّ تقديرٍ واحترامٍ وإجلال.

والشكر موصول أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإبداء ملحوظاتهم عليها، وهم: الدكتور محمود المقدادي، والدكتورة إنشراح البيرودي.

وأتوجه بالشكر إلى أبي وأمّي وعائلتي لدعمهم لي، ولتحملهم عزلتي وانقطاعي وانشغالي.

والشكر والتقدير موصول لكل من مدّ لي يد العون بقليل أو كثير، ولا أملك إلا أن أدعوَ للجميع في ظهر الغيب، قائلة: جزاكم الله عَنّي خيرَ الجزاء.

الباحثة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
صفحة المناقشين	أ
البسملة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
الملخص بالعربي	ك
المقدمة	1
مشكلة الدراسة وأسئلتها	2
أهداف الدراسة	4
أهمية دراسة	4
منهجية الدراسة	5
حدود الدراسة	5
التعريفات الإجرائية	6
الدراسات السابقة	6
خطة الدراسة	13
الفصل الأول: مفهوم القلب وموقعه بين مكونات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة.	15
المبحث الأول: مفهوم القلب والفؤاد في ضوء القرآن والسنة.	15
أولاً: مفهوم القلب	15
تعريف "القلب" في اللغة	15
معاني لفظة القلب في القرآن	16
معاني لفظة القلب في السنة	19
تعريف القلب في الاصطلاح	21
تعريف الباحثة للقلب في ضوء القرآن والسنة	24
ثانيا: مفهوم الفؤاد	**24**
تعريف الفؤاد في اللغة	24
معاني لفظة الفؤاد في القرآن	25

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معاني لفظة الفؤاد في السنة	28
معاني لفظة الفؤاد في الاصطلاح	30
ثالثا: العلاقة بين القلب والفؤاد	31
المبحث الثاني: موقع القلب بين مكونات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة	34
أولاً: مكونات (بِنْية) الشّخصية الإنسانية	34
1- عنصر الجسم (الجسد)	35
2- عنصر الروح	36
3- عنصر العقل	38
4- عنصر القلب	39
ثانياً: موقع القلب بين مكونات (بِنْية) الشّخصية الإنسانية وعلاقته بها	39
الفصل الثاني: العمليات التربوية للقلب وسماته الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة.	44
المبحث الأول: العمليات التربوية(الإيجابية) للقلب في ضوء القرآن والسنة.	44
تمهيد: المقصود بالعمليات التربوية للقلب ومنهجية تحديدها في القرآن والسنة.	44
مدخل: في إثبات كون القلب هو مَحَلٌّ للعمليات التربوية	45
منظومة العمليات التربوية للقلب	49
العملية الأولى: إخبات القلب.	49
العملية الثانية: ألفة القلب (تأليف القلب).	50
العملية الثالثة: أمانة القلب.	54
العملية الرابعة: امتحان القلب(تمحيص القلب).	55
العملية الخامسة: إنابة القلب.	57
العملية السادسة: إنكار القلب للفتن.	58
العملية السابعة: اهتداء القلب.	59
العملية الثامنة: إيمان القلب.	60
العملية التاسعة: تزيين القلب.	63
العملية العاشرة: تشرب القلب للأفكار.	63
العملية الحادية عشرة: تطهير القلب وتنقيته (تزكية القلب).	66
العملية الثانية عشرة: تعمّد القلب وكسبه (قصد القلب ونيته).	67

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العملية الثالثة عشرة: تقوى القلب.	69
العملية الرابعة عشرة: تلقي المعارف (الوحي).	71
العملية الخامسة عشرة: حُبّ القلب(أمنيات القلب).	72
العملية السادسة عشرة: حزن القلب.	73
العملية السابعة عشرة: حفظ القلب.	73
العملية الثامنة عشرة: خشوع القلب.	74
العملية التاسعة عشرة: خواطر القلب.	76
العملية العشرون: خير القلب(غِنى القلب).	77
العملية الواحدة والعشرون: رأفة القلب ورحمته.	78
العملية الثانية والعشرون: رَبْط القلب (صبر القلب).	80
العملية الثالثة والعشرون: رقّة القلب.	82
العملية الرابعة والعشرون: صلاح القلب.	82
العملية الخامسة والعشرون: عَقْل القلب (التعقل).	83
العملية السادسة والعشرون: فقه القلب.	85
العملية السابعة والعشرون: لين القلب.	86
العملية الثامنة والعشرون: نور القلب .	87
العملية التاسعة والعشرون: وجل القلب.	88
العملية الثلاثون: تَجْميم الفؤاد(القلب).	90
العملية الواحدة والثلاثون: تعلّق الفؤاد(القلب).	90
العملية الثانية والثلاثون: ثبات الفؤاد(صَبْر القلب وثباته).	91
العملية الثالثة والثلاثون: هوى (حنين) الفؤاد(القلب).	92
العميلة الرابعة والثلاثون: صدق الفؤاد(القلب).	93
المبحث الثاني: سمات القلب(الإيجابية) الناتجة عن العمليات التربوية في ضوء القرآن والسنة.	95
تمهيد: المقصود بسمات القلب ومنهجية تحديدها في نصوص القرآن والسنة.	95
سمات القلب في النصوص الشرعية.	97
السمة الأولى: بياض القلب.	97
السمة الثانية: توحّد القلوب وتشابهها.	98
السمة الثالثة: سكينة القلب(القلب الساكن).	98

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السمة الرابعة: سلامة القلب(القلب السليم).	99
السمة الخامسة: طمأنينة القلب.	100
الفصل الثالث: الانحراف في العمليات التربوية للقلب وسماته الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة.	104
المبحث الأول: الانحراف في العمليات التربوية للقلب في ضوء القرآن والسنة.	104
تمهيد: المقصود بانحراف العمليات التربوية للقلب ومنهجية تحديدها في القرآن والسنة.	105
منظومة انحراف العمليات التربوية للقلب	106
الانحراف الأول: إباء القلب (الرفض).	106
الانحراف الثاني: إثْمُ القلب.	107
الانحراف الثالث: اختلاف القلب.	108
الانحراف الرابع: ارتياب القلب.	108
الانحراف الخامس: اشمئزاز القلب.	109
الانحراف السادس: اضطراب القلب(الجزع).	110
الانحراف السابع: إنكار القلب للحق.	110
الانحراف الثامن: تشتت القلب.	111
الانحراف التاسع: تكذيب القلب.	112
الانحراف العاشر: جزع القلب وهلعه.	113
الانحراف الحادي عشر: حسرة القلب.	114
الانحراف الثاني عشر: حمية القلب (التعصب).	115
الانحراف الثالث عشر: رُعْبُ القلب.	116
الانحراف الرابع عشر: رَيْب القلب(التصدع والتقطع).	116
الانحراف الخامس عشر: زيغ القلب.	116
الانحراف السادس عشر: صرف القلب(الانصراف).	119
الانحراف السابع عشر: التزيين القلبي(الظّن العَقَدي السّيء).	119
الانحراف الثامن عشر: صَغْو القلب(الميل).	120
الانحراف التاسع عشر: عمى القلب.	121
الانحراف العشرون: غلُّ القلب.	122
الانحراف الواحد والعشرون: غمرة القلب(ظلمه وإعراضه).	122

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانحراف الثاني والعشرون: غيظ القلب.	123
الانحراف الثالث والعشرون: غَيْن القلب.	123
الانحراف الرابع والعشرون: فجور القلب.	124
الانحراف الخامس والعشرون: فزع القلب.	124
الانحراف السادس والعشرون: فساد القلب.	125
الانحراف السابع والعشرون: تَشرّب القلب للفتن.	126
الانحراف الثامن والعشرون: كفر القلب وتنجُّسه.	127
الانحراف التاسع والعشرون: لهو القلب.	127
الانحراف الثلاثون: نفاق القلب وقصده السّيء.	128
الانحراف الواحد والثلاثون: وَجَف القلب.	130
المبحث الثاني: سمات القلب السلبية الناتجة عن الانحراف في العمليات التربوية للقلب في ضوء القرآن والسنة.	131
تمهيد: المقصود بسمات القلب الناتجة عن الانحراف في العمليات التربوية للقلب ومنهجية تحديدها في القرآن والسنة.	131
السمات السلبية للقلب:	133
السمة الأولى: إقفال القلب.	133
السمة الثانية: أكنة القلب(الغطاء).	133
السمة الثالثة: الختم على القلب.	135
السمة الرابعة: ران القلب وسواده.	136
السمة الخامسة: الطبع على القلب.	138
السمة السادسة: غفلة القلب.	139
السمة السابعة: غلاف القلب.	140
السمة الثامنة: غِلَظ القلب.	140
السمة التاسعة: فراغ الفؤاد(القلب).	141
السمة العاشرة: قسوة القلب.	142
السمة الحادية عشرة: مرض القلب.	144
الفصل الرابع: تطبيقات تصور القرآن والسنة للقلب في بِنْية الشّخصية من حيثُ فِقهُ سلوكِها.	148
تمهيد	148

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مدخل مفاهيمي	149
1- مصطلح الشّخصية	149
2- مصطلح بِنْية الشّخصية	150
3- مصطلح السّلوك	150
المبحث الأول: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري.	151
تمهيد	151
من صورة العلاقة بين السّلوك القلبي- والسّلوك الظاهري	152
المبحث الثاني: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ العوامل المؤثرة في سلوك الشّخصية الباطني(القلبي).	159
تمهيد	159
أولا: العوامل الإيجابية المؤثرة في سلوك الشّخصية الباطني(القلبي).	160
ثانيا: العوامل السلبية المؤثرة في سلوك الشّخصية الباطني(القلبي).	167
المبحث الثالث: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ إمكانية تعديل السّلوك القلبي.	177
تعريف تعديل السلوك القلبي	177
جملة من الدلائل على إمكانية تعديل السّلوك القلبي	177
المبحث الرابع: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ أثر السّلوك القلبي في تصنيف الشّخصية.	181
الصنف الأول: الشّخصية السّوية	181
الصنف الثاني: الشّخصية غير السّوية	182
الخاتمة.	184
أولاً: النتائج.	184
ثانياً: التوصيات.	187
ثالثاً: المقترحات.	187
المراجع	188
الملخص بالإنجليزي	199

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملخّص

الطراد، نسرين محمد، "العمليات التربوية للقلب وسماته في القرآن والسنة وتطبيقاتها في بِنْية الشّخصية"، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، جامعة اليرموك، كلية الشريعة،1437هـ/ 2016م، (إشراف: أ.د. عدنان مصطفى خطاطبة).

هدفت الدراسة إلى بيان العمليات التربوية للقلب وانحرافاتها وسِماته المتعلقة بها وتطبيقاتها في بِنْية الشّخصية الإنسانية. وذلك من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة وهي: السؤال الأول: ما مفهوم القلب؟ وما موقعه بين مكوّنات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة؟ والسؤال الثاني: ما العمليات التربوية (الإيجابية) للقلب وسِماته الإيجابية الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة؟ والسؤال الثالث: ما صور الانحراف في العمليات التربوية للقلب وسِماته السّلبية الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة؟ والسؤال الرابع: ما تطبيقات تصور القرآن والسنة للقلب في بِنْية الشّخصية من حيثُ: العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري والعوامل المؤثرة في سلوك الشّخصية الباطني(القلبي) وإمكانية تعديله، وأثره في تَصْنيف الشّخصية؟ واستخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي والاستنباطي. وكان من أهم نتائج الدراسة ما يأتي: أنّ القلب مُكَوّن باطني لبِنْية الشّخصية، ويقوم بالأعمال الباطنة: الانفعالية والإرادية والإدراكية، وذو علاقة قوية بظاهر الشّخصية، وأنّ لفظة الفؤاد هي الأقرب للفظة القلب من حيث المفهوم والمعنى، وأنّ العلاقة بينهما تكاد تكون علاقة ترادف، وأنّ النصوص الشرعية أثبتت (34) عملية تربوية قلبية، و(5) سِمات تربوية للقلب، و(31) انحرافاً في العمليات التربوية للقلب، و(11) سِمَة سّلْبية للقلب. وأثبتت النصوص الشرعية وجود علاقة بين السّلوك القلبي الباطني والسّلوك الظاهري، ووجود عدد من العوامل الإيجابية والسّلبية المؤثرة في السّلوك القلبي، وإمكانية تعديل السّلوك القلبي، وأنّ لعمليات القلب وسماته تأثير في تشكيل نمط الشّخصية. وأوصتْ الدراسة مؤسسات التربية والتعليم وكليات علم النفس باعتماد قائمة العمليات التربوية للقلب وسِماته وتطبيقاتها في مناهجها التعليمية، وفي فهم الشّخصية وبنائِها وتعديل سلوكها.

الكلمات المفتاحية: العمليات التربوية، القلب، الفؤاد، الشّخصية الإنسانية، التربية الإسلامية، علم النفس الإسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يعدّ الإنسان محور العملية التربوية ومحلّها وغايتها، وعليه مدار العمل التربوي الإنساني عموما منذ خلق الله البشرية، وما زالت تلك العمليات التربوية مرهونة بقناتين معرفيتين أساسيتين، وهما: القناة المعرفية الأولى: وتختصّ بمنظومة المعارف المتعلقة بالشّخصية الإنسانية محلّ العملية التربوية، كما في تلك النصوص التي تتحدث عن الإنسان ومكوناته، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (الحجر: 28– 29)، والقناة المعرفية الثانية: تختصّ بمنظومة المعارف والقيم التي يجب تربية الشّخصية عليها، كما في تلك النصوص التي تتحدث عن الإيمان والأخلاق والعبادات والتزكية والتعليم، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة:2). ومن هنا اختلفت التربيات قديماً وحديثاً فيما بينها اختلافاً شديداً وصل في كثير من درجاته إلى حدّ التناقض القِيَمي والفكري والنّفسي والغائي.

وبما أن التربية الإسلامية تبحث في تربية الشّخصية الإنسانية ضمن إطار قِيَمي إسلامي، والتصور الإسلامي قد جاء حاملاً للمعارف المتعلقة بالقناتين المعرفيتين السّابقتي الذكر؛ فإنّ التربية الإسلامية بحاجة إلى مزيد من تحرير الرؤية المعرفية الإسلامية المتعلقة بفهم الشّخصية الإنسانية ومكوناتها من منظور إسلامي، سعياً وراء الوصول إلى وضع مناهج تعليمية وتربوية تستقيم مع هذه الرؤية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبما أن القلب يعد مُكوِّناً أساسياً لتلك الشّخصية؛ فإنّ السّعيَ لتوفير التصور الإسلامي الصحيح عنه من منظور تربوي نفسي يغطي مساحة مهمة من معارف النظرية التربوية الإسلامية، التي ما زالت مساحاتها المعرفية بحاجة إلى كثير من الدراسات التي تكوِّن في النهاية تصوراتها العلمية المتكاملة، التي من خلالها يمكن للعملية التربوية أن تسير على هدى وبَيِّنة ورشاد واستقامة.

من هنا جاءت فكرة هذه الدراسة لتتخصَّص بجانب "جزئي" و"أساسي" من مكونات الشّخصية وهو "القلب"، وبدراسة تأصيلية "معمّقة" له في إطار تربوي نفسي إسلامي. حيث بُنِيَت فكرة هذه الدراسة بعد عملية جمع للنصوص الشرعية المتعلقة بالقلب–والفؤاد– والنظر فيها وفي سياقاتها المختلفة، فتأكّد مركزية القلب في منهجية القرآن والسنة، حيث تجاوزت عدد مرات لفظ القلب ومشتقاته في آيات القرآن الكريم المائة مرة[1]، وكذلك الحال في أحاديث الصحيحين فقط، إذ تجاوزت بالمكرر المائة كذلك[2]. وقد جاءت سياقات النصوص الشرعية المتعلقة بالقلب ضمن معطيات تؤكد أن القلب محطُّ النظر الإلهي كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: **(إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ)**[3]، وهو كذلك محلٌ للعمليات التربوية المتنوعة كما قال تبارك وتعالى: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (البقرة: 97)، وأنه يتأثر بعوامل مختلفة تحدد له سماته الإيجابية والسلبية التي ينتج عنها أنماط الشّخصيةِ المختلفة وسلوكاتها المتعددة كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ** ﴾

---

(1) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 549. 551 .

(2) تتبعت الباحثة عدد مرات تكرار لفظة القلب في الصحيحين وتوصلت إلى النتيجة المذكورة.

(3) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج8،ص11، ح قم 2564.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(الرعد:28). كل هذا وغيره مما سوف تحدده أسئلة الدراسة، هو ما يشكل فكرة الدراسة وموضوعها ومحل بحثها، تحت عنوان" العمليات التربوية للقلب وسماته في القرآن والسنة وتطبيقاتها في بنية الشّخصية".

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تتمثل مشكلة الدراسة في أن النظريات التربوية التي فسرت الشّخصية تعددت واختلفت في فهمها لطبيعة الشّخصية ومكوناتها اختلافاً يعود في أساسه إلى الخلفيات المعرفية والفلسفية والأيديولوجية، كما أن هذه النظريات في أغلبها تشكَّل في بيئة غربية متأثرة بالفكر المادي، والتي بدورها انعكست على فهم التربويين المسلمين للشخصية ومكوناتها، كما أن مشكلة الدراسة تتمثل في محدودية الدراسات التي تقدّم تصوَّراً تربوياً نفسياً للقلب ومنطلقاً من النصوص الشرعية، من هنا ظهرت للباحثة الحاجة إلى بناء تصور تربوي إسلامي يمثل نظرة التربية الإسلامية حول الشّخصية ومكوناتها، وقد اختارت الباحثة أحد هذه المكونات وهو القلب.

وتكونت الدراسة من الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما مفهوم القلب؟ وما موقعه بين مكونات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة؟

السؤال الثاني: ما العمليات التربوية (الإيجابية) للقلب وسماته الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة؟

السؤال الثالث: ما صور الانحراف في العمليات التربوية للقلب وسماته السلبية الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة؟

السؤال الرابع: ما تطبيقات تصور القرآن والسنة للقلب في بُنْية الشّخصية من منظور نفسي إسلامي من حيثُ: العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري، والعوامل المؤثرة في سلوك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشّخصية الباطني(القلبي)، وإمكانية تعديل السّلوك القلبي، وأثر السّلوك القلبي في تصنيف الشّخصية؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

- بيان مفهوم القلب والفؤاد في ضوء القرآن والسنة.
- تحديد موقع القلب بين مكونات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة.
- تحديد منظومة العمليات التربوية(الإيجابية) للقلب وبيانها في ضوء القرآن والسنة.
- تحديد سمات القلب الإيجابية الناتجة عن العمليات التربوية الإيجابية للقلب وبيانها.
- تحديد صور الانحراف في العمليات التربوية للقلب وبيانها في ضوء القرآن والسنة.
- تحديد سمات القلب السلبية الناتجة عن الانحراف في العمليات التربوية للقلب وبيانها.
- بيان تطبيقات تصور القرآن والسنة للقلب في بُنْية الشّخصية من منظور نفسي إسلامي من حيثُ: العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري والعوامل المؤثرة في سلوك الشّخصية الباطني(القلبي) وإمكانية تعديل السّلوك القلبي وأثر السّلوك القلبي في تصنيف الشّخصية.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال ما يأتي:

- رفد المكتبة التربوية والنفسية الإسلامية ببحث علمي يقدم الرؤية الإسلامية لأحد مكونات الشّخصية الإنسانية وهو القلب، وهي بذلك تضيف إلى المكتبة معرفة علمية تنضم إلى ما سبقها من معارف علمية ذات صلة بالموضوع محل البحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- يمكن أن تفيد هذه الدراسة المؤسسات التربوية والمختصين بالإرشاد النفسي والمربّين، من خلال تقديم مادة علمية تتعلق بالقلب من الناحية المعرفية والسّلوكية والوجدانية ذات منطلقات تربوية إسلامية، تساعدهم في تقديم دروسهم التعليمية وتوجيهاتهم النفسية في بناء الشّخصية وعلاج جوانب الخلل فيها.

منهجية الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة **المنهج الاستقرائي** والمتمثّل إجرائيا في تتبع النصوص القرآنية التي جاء فيها ذكر القلب بمشتقاته وبسياقاتها المختلفة وجمعها، وكذلك تتبع النصوص الحَديثيّة في الصحيحين التي ورد فيها لفظ القلب بمشتقاته وسياقاتها المتعددة وجمعها. ثم استخدام **المنهج الاستنباطي** والمتمثّل إجرائيا بالنظر في تلك النصوص التي تم جمعها، وتحليلها وتصنيفها واستنباط دلالاتها ضمن السياقات والمحاور التي تجيب عن أسئلة الدراسة. وتشير الباحثة إلى أنها في توثيق الهوامش اتبعت طريقة موحدة تمثلت بذكر الاسم والكتاب والصفحة، دون ذكر تفاصيل المرجع حين وروده لأوّل مرة.

حدود الدراسة:

تقتصر حدود الدراسة بالآتي:

- تطبيق الدراسة على تلك النصوص القرآنية التي ورد فيها لفظ القلب تحديدا بمشتقاته المختلفة، ويلحق به لفظ الفؤاد وقد يذكر صراحة وإلا يتبعه ضمنا.
- تطبيق الدراسة فيما يتعلق بالسنة النبوية على ما جاء في أحاديث الصحيحين فقط.
- تطبيق الدراسة فيما يتعلق بجانب الشّخصية بالمنظور النفسي الإسلامي من حيث: العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري، والعوامل المؤثرة في سلوك الشّخصية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الباطني(القلبي)، وإمكانية تعديل السّلوك القلبي، وأثر السّلوك القلبي في تصنيف الشّخصية.

- إظهار جانب من التطبيقات– إضافة للفصل الرابع المستقل– في ثنايا الفصل الثاني والثالث على شكل "تضمينات تربوية ونفسية" تعليقا على عدد من العمليات وانحرافاتها وسماتها بحسب ما تراه الباحثة مناسبا.

التعريفات الإجرائية:

1– يُقصد بمفهوم "العمليات التربوية للقلب وسماته في القرآن والسنة" في هذه الدراسة ما أضيف للقلب والفؤاد في الآيات الكريمة وأحاديث الصحيحين من أفعال إيجابية (عمليات تربوية) أو سلبية (انحراف في عمليات القلب التربوية) وسماته(صفاته وحالاته) الناتجة عنها.

2– يُقصد بمفهوم "التطبيقات في بِنْيَة الشّخصية" تأثير الرؤية التربوية المستمدة من القرآن والسنة لعمليات للقلب وسماته في بِنية للشخصية الإنسانية من منظور نفسي– وليس من منظور حضاري وثقافي– من حيث: العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري، والعوامل المؤثرة في سلوك الشّخصية الباطني(القلبي) وإمكانية تعديل السّلوك القلبي، وأثر السّلوك القلبي في تصنيف الشّخصية.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاع الباحثة ومن خلال مراجعة مكتبة جامعة اليرموك ومركز الملك فيصل للدراسات والبحوث والمكتبة الرقمية التابعة لجامعة أم القرى، لم تقف على دراسة عالجت الموضوع محل البحث كما هو معنون به، إلا أنها وقفت على مجموعة من الدراسات ذات العلاقة الجزئية ببعض محاور الدراسة الحالية، وهي كالآتي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: دراسة بركات (1995م) بعنوان (**العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن الكريم**)[1]، وهدفت الدراسة إلى بيان حقيقة العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن الكريم، وتوضيح مدلول الآيات القرآنية التي ورد فيها صيغة الفعل(عقل)، وما تحتوي عليها من دلالات فكرية وعقلية.

ولتحقيق هدف الدراسة اتبع الباحث المنهج الاستنباطي، حيث قام بإجراء مسح للآيات القرآنية التي تحتوي لفظة القلب، والآيات التي تحتوي صيغة الفعل (عَقَلَ)، ثم عرض الدلالات الفكرية ومجالاتها بعد تفسيره للنصوص من كتب التفسير وبعض الدراسات المتعلقة بالعمليات العقلية في القرآن الكريم، ثم قام بتصنيف العمليات العقلية بناءً على فهمه للموضوع.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات أهمها: ارتباط القلب بوظائف إدراكية معرفية تختص بالفهم والعلم والمعرفة وغيرها، كما أنّ الآيات التي وردت فيها لفظة القلب أرادت تسليط الضوء على قضايا الإنسان والحياة، وأنّ هناك خطأً إيمانياً يربط العمليات العقلية من تعقل وتفكر وإدراك لأجل الوصول إلى خالق الكون ومدبره.

التعليق على الدراسة:

ركزت الدراسة المذكورة على الوظائف المعرفية (العقلية) للقلب، كما أنها اقتصرت على القرآن الكريم، في حين أن الدراسة الحالية تتناول عموم العمليات التربوية للقلب وسماته والعوامل المؤثرة فيها في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

[1] بركات، صالح سلامه،1995م، العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد– الأردن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: دراسة صقري(2001م) بعنوان **(مرض القلوب وشفاؤها عند شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم: جمع ودراسة)**[1]، وهدفت الدراسة إلى بيان أقوال العالِمَين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله في القلوب وأمراضها وكيفية شفاؤها، لما لهذا الموضوع من أهمية لأسباب عدة أوجزها الباحث في سعة انتشار أمراض القلوب في هذا الوقت، وما للشيخين من مكانة في العلم ورسوخهما فيه، واعتمادهما في بيان ذلك على الأدلة من الكتاب والسنة، وأنّ كثيراً من الناس لم ينتبهوا إلى أنّ حياة القلب وإضاءته هي مادة كل خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شر فيه، وأن القلب لا يصلح إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه.

ولتحقيق هدف الدراسة اتبع الباحث المنهج الاستنباطي، حيث قام بجمع النصوص المتعلقة بالموضوع محل الدراسة من مظانّه في كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم، ثم ترتيبها حسب وجهة نظره الخاصة في تقسيم فصول الدراسة، وشرح أقوالهما كلما اقتضت الحاجة إلى تقديم بيان أو توضيح.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات أبرزها: أن القلب هو ملك الأعضاء ويرتبط بصلاحه صلاح الجسد كله، وأن صلاحه موقوف على التزامه بالأصلين الأولين الكتاب والسنة، أن القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر والعقل، وأن أقسام القلوب ثلاثة هي: القلب الصحيح، القلب المريض، والقلب القاسي، وأن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب، وأن من أسباب حياة القلب قراءة القرآن وتدبره والقيام بالأعمال الصالحة وأن يستقر فيه معرفة الله تعالى، وأن مرض القلب فساد يحصل له يفسد به تصوره وإرادته، وأن من أمراض القلوب الحسد والبخل

---

[1] صقري، سعود بن حمد، مرض القلوب وشفاؤها عند شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم: جمع ودراسة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد 14، العدد23، 2001م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشح والشهوة، وأن الذنوب والمعاصي لها ضرر بالغ على القلب في الدنيا والآخرة، وأن أهم أدوية القلوب القرآن الكريم فهو متضمن لأدويته وعلاجه من جميع أمراضه.

التعليق على الدراسة:

اختصت الدراسة المذكورة بالحديث عن أمراض القلوب وطرق شفائها عند عالمين من علماء المسلمين، وتتفق مع الدراسة الحالية في بيان بعض السمات الإيجابية والسلبية للقلب، وتفترق عنها من جهة أن الدراسة الحالية تناولت العمليات التربوية للقلب وسماته وتطبيقاتها في بِنْيَة الشّخصية في ضوء القرآن والسنة.

ثالثاً: دراسة القحطاني(2007م) بعنوان **(القلب وما في معناه في سياقات القرآن المختلفة: دراسة بلاغية)**[1]، وهدفت الدراسة إلى بيان الإعجاز البياني والبلاغي للقرآن الكريم في استخدامه لفظة القلب، حيث بحثت في هذه اللفظة وما يعد مرادفاً لها في استعمال القرآن من: اللب، والفؤاد، والعقل، والأحلام، والنهى، والحجر، وبيان أن لكل لفظة منها مكانها الأخص والأشكل بها.

واتبعت الباحثة في دراستها المنهج الاستقرائي الاستنباطي، حيث جمعت الآيات ذات العلاقة بموضوع الدراسة، ثم قسمتها حسب تكرار اللفظ ضمن سياقات أربعة رئيسة هي: القصص، أحوال المخاطبين، الاستدلال، والتشريع، ثم بينت مكانة لفظة القلب حسب السياق الذي وردت فيه.

وأظهرت الدراسة عدداً من الاستنتاجات أبرزها: إظهار بلاغة القرآن الكريم العميقة جداً والتي تظهر جلية في بلاغته في كل لفظة من ألفاظه، ولزوم الألفاظ السبعة المذكورة تراكيب

---

[1] القحطاني، سهير عيسى،2007م، القلب وما في معناه في سياقات القرآن المختلفة: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات أقسام الآداب، جامعة الملك خالد، أبها– السعودية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معينة تلائم السياق الذي ترد فيه كالجمع حينما يراد العموم في شخوص القصص وأحوال المخاطبين، وملازمة بعض ألفاظ الدراسة لألفاظ أخرى لأن كلاهما تتلائم في المعنى كالطبع والختم للقلب بدلالة اللزوم والتمكين والثبات فيهما، كما أظهرت الدراسة أن السياق يؤثر بوضوح في تحديد اللفظة المناسبة مع طريقة كتابتها.

التعليق على الدراسة:

تمثل هذه الدراسة الاتجاه البلاغي في دراسة القلب في نصوص القرآن الكريم، وهي تفترق عن الدراسة الحالية من جهة أن الأخيرة دراسة تربوية نفسية لآيات وأحاديث القلب.

رابعاً: دراسة الحازمي (2008م) بعنوان (**التربية القلبية في الإسلام ودور المعلم في تحقيقها**)[1]، وهدفت الدراسة إلى بيان المقصود بالقلب ومكانه ومكانته، وبيان أقسام القلوب وصفاتها في الكتاب والسنة، كما بينت أصول التربية القلبية ومصادرها، وأساليبها في القرآن والسنة، ودور المعلم في تحقيق التربية القلبية لدى التلاميذ.

ولتحقيق هدف الدراسة اتبع الباحث المنهج الاستقرائي، حيث تتبع لفظة القلب والألفاظ المرادفة لها في القرآن والسنة النبوية في كتب الحديث الستة المشهورة، ثم رجع إلى كتب التفاسير وشروح الحديث لبيان معاني النصوص وتوضيح مرادها، كما اتبع الباحث المنهج الاستنباطي القائم على استخراج العلم والحكمة ببذل أقصى جهد عقلي من النصوص، من أجل التوصل إلى عدة مبادئ تربوية مرتبطة بالقلب ومصحوبة بالأدلة الشرعية.

---

[1] الحازمي، إبراهيم، 2008م، التربية القلبية في الإسلام ودور المعلم في تحقيقها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – قسم الدراسات الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة– السعودية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتوصل الباحث إلى عدة استنتاجات أهمها: أن للقلب مرادفات عدة في القرآن الكريم مثل الفؤاد والروع، وأن أقسام القلوب حسب المصادر الإسلامية ثلاثة هي: القلب السليم ومن صفاته الشكر والصدق والخوف من الله، والقلب المريض والقلب الميت ومن صفاتهما الطبع والإقفال والزيغ والغفلة، وأن القلب قد تعتريه أمراض فتمرضه أو تميته، وأمراض القلوب قسمان هما: مرض الشبهة ومرض الشهوة، وأن من الأساليب التربوية في إصلاح القلوب الشعائر التعبدية ومحاسبة النفس والتفكر ومعرفة حقيقة الدارين، وأن من علامات صلاح القلوب التعلق بالآخرة والزهد في الدنيا والإكثار من الذكر، وأن من الأساليب المستخدمة في التربية القلبية ضرب المثل والقدوة والوصية والموعظة، وأخيرا بين الباحث دور المعلم الناجح في تسخير طرق التدريس المتنوعة في سبيل تحقيق التربية القلبية.

التعليق على الدراسة:

تتفق دراسة الحازمي مع الدراسة الحالية في بيان مفهوم القلب وبعض سماته في القرآن والسنة، وتفترق عنها من جهتين: الأولى: أن دراسته تتحدث عن التربية القلبية بمعنى كيفية تنمية الجانب الوجداني في النفس الإنسانية وطرقها وأساليبها وأهدافها، وهذا ما لا تختص به هذه الدراسة. والثانية: أن الجانب التطبيقي في دراسة الحازمي يتناول دور المعلم في تحقيق التربية القلبية، فهي أقرب للدراسة الميدانية، وهو ما لا تختص به هذه الدراسة.

خامساً: دراسة خطاطبة (2009م) بعنوان **(بِنْية الشّخصية الإنسانية ومحدداتها وسماتها عند ابن تيمية)**[1]، وهدفت الدراسة إلى توضيح الشّخصية الإنسانية في فكر ابن تيمية بمنظوره

[1] خطاطبة، عدنان مصطفى، بنية الشخصية الإنسانية ومحدداتها وسماتها عند ابن تيمية، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض– السعودية، م21، 2009م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلامي، ودراسة مكونات الشّخصية والعوامل المؤثرة في الشّخصية الداخلية والخارجية، ثم بيان سمات الشّخصية وقواها وأنماطها.

واستخدم الباحث في دراسته المنهج الاستقرائي الاستنباطي، ويظهر ذلك في استقراء واستنباط المعاني والأفكار المتعلقة بالشّخصية الإنسانية من النصوص ذات العلاقة بموضوع الدراسة، ثم إعادة تركيبها في مجالاتها المحددة.

ومن أبرز الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث في دراسته: بيان مدلول ابن تيمية في عناصر الشّخصية الإنسانية الأساسية وهي: النفس، القلب، العقل، الروح، كما حدد مكوناتها وهي المكون المادي والمكون الروحي مع توضيح العلاقة بينهما، وبيان العوامل المؤثرة في الشّخصية الإنسانية وهي: عوامل داخلية أهمها الفطرة وخارجية أهمها التعليم، وبيان سمات الشّخصية وقواها وأنماطها، فالسمات قد تكون عامة كالحرية، وقد تكون إيجابية وسلبية كالشجاعة والجبن، وأما قواها فهي ثلاث: عقلية وغضبية وشهوية، وكذلك أنماطها ثلاثة: المؤمنة والمنافقة والكافرة.

التعليق على الدراسة:

تختص الدراسة المذكورة ببحث موضوعها عند عالم من علماء المسلمين، وتتفق مع الدراسة الحالية في بيان مفهوم الشّخصية وعلاقة القلب بها وبعض سماته، في حين أنها تفترق عنها من جهة أن الدراسة الحالية تناولت العمليات التربوية للقلب وسماته وتطبيقاتها في بِنْيَة الشّخصية في ضوء القرآن والسنة.

ما تميزت به هذه الدراسة عموما:

أبرز النقاط التي تميزت بها الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في العموم:

- تناولها لمفهوم عمليات القلب وسماته في ضوء النصوص الشرعية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- دراستها لمنظومة العمليات التربوية(الإيجابية) للقلب وسماتها في ضوء القرآن والسنة.
- دراستها لصور الانحراف في العمليات التربوية للقلب وسماتها في ضوء القرآن والسنة.
- دراستها للعوامل المؤثرة في السّلوك القلبي، وبيان خصوصية التصور الإسلامي في اعتبار "الغيب" أحد العوامل المؤثرة.
- تحليلها لأوجه من "فَعّاليات" السّلوك القلبي من جهة: علاقته بالسّلوك الظاهري، وإمكانية تعديله (السّلوك القلبي)، والعوامل المؤثرة فيه، وأثره في فَهْم الشّخصية.

خطة الدراسة:

تكونت الدراسة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. وفصول الدراسة هي: الفصل الأول: مفهوم القلب وموقعه بين مكونات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة. والفصل الثاني: العمليات التربوية للقلب وسماته الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة. والفصل الثالث: الانحراف في العمليات التربوية للقلب وسماته الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة. والفصل الرابع: تطبيقات تصور القرآن والسنة للقلب في بُنْية الشّخصية من حيثُ فِقهُ سلوكِها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول: مفهوم القلب وموقعه بين مكوّنات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة.

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم القلب والفؤاد في ضوء القرآن والسنة.

المبحث الثاني: موقع القلب بين مكونات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول: مفهوم القلب وموقعه بين مكونات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة.

يتناول هذا الفصل بيان مفهوم القلب(المفهوم الرئيس في الدراسة) والفؤاد، وموقعه بين مكونات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة– على أن يتم توضيح باقي مفردات العنوان في سياقاتها الخاصة بها– وسيتم ذلك من خلال مبحثين، هما:

المبحث الأول: مفهوم القلب والفؤاد في ضوء القرآن والسنة.

المبحث الثاني: موقع القلب بين مكونات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة.

المبحث الأول: مفهوم القلب والفؤاد في ضوء القرآن والسنة.

يتناول هذا المبحث من الدراسة بيان مفهوم القلب من حيث التعريف اللغوي، وتحرير المفهوم من النصوص الشرعية التي ورد فيها لفظ القلب أو مشتقاته مع الرجوع لتفسير العلماء وأقوالهم حول لفظة القلب، ثم تقديم تعريف لهذه اللفظة في ضوء النصوص الشرعية، ثم بحث الألفاظ ذات الصلة بالقلب في النصوص الشرعية التي قد تكون مرادفة لَهُ في المعنى والمفهوم.

أولاً: مفهوم القلب:

تعريف "القلب" في اللغة:

"القاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدلُّ على خالص شيء وشريفه، والآخر على ردّ شيء من جهة إلى جهة، فالأول(وهو المراد) الَقْلب: قلب الإنسان وغيره، سُمّي؛ لأنّه أخلصُ شيء فيه وأرفعه، وخالص كل شيء وأَشرفُهُ قلبه"[1]، و"القلب: مضغةٌ من الفؤاد معلقةٌ

([1]) ابن فارس، أحمد معصم، مقاييس اللغة، ج5، ص17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالنياط، والقلب: الفؤاد، والجمعُ: أقْلُبٌ وقلوبٌ. وسُمّي القلب قلباً لتقلّبه"[1]، و"قَلْب كلّ شيء وسطه ولبّه ومحْضه، وقَلْب النّخلة جمارها، وقلب الشجر ما لانَ من أجوافها، وجمعها قلوب"[2].

يتبين من المعاني اللغوية المتقدمة أن معنى لفظة القَلْب يدور حَوْلَ: خالص الشيء، وأشرفه وأرفعُه، وهو ما يكون في وسط الشيء ولبّه. كما يلحظ كذلك أن هذا القلب يتصف بالتقلّب وعدم الاستقرار، وفي هذا دلالة على أن القَلْب قد يتعرض لأمور تؤثر في ثباته واستقراره، وقد تَصْرفه من حال إلى حال آخر.

معاني لفظة القلب في القرآن

قال الراغب في بيانه لمعنى القلب:" قلب الشيء: تَصْريفه وصَرْفه من وجه إلى وجه، كقلب الثوب، وقلْبِ الإنسان، أي: صَرْفِه عن طريقته، وقلبُ الإنسان قيل: سّمي به لكثرة تقلبه، ويعبر بالقلب عن المعاني التي تختصّ به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ (الأحزاب: 10) أي: الأرواح، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾(الحج: 46) قيل: العقل، وقيل: الروح، وتقليب الله القلوب والبصائر: صَرْفَها من رأي إلى رأي، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ ﴾ (الأنعام: 110)"[3].

([1]) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج1، ص685.

([2]) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج2، ص753.

([3]) الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص (681-682).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتبين مما تقدّم أن لفظة القلب في القرآن ترتبط بمعاني مختلفة منها: الروح والعلم والفهم وغيرها، كما أن القرآن الكريم أقرّ حقيقة تقلب القلب وتغيّر حاله إذا ما طرأ عليه أمر يقود إلى ذلك.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما يوضح مفهوم القلب وحقيقته، حيث نسب له مجموعة من العمليات التربوية مثل الفقه– التي سيتم توضيحها في الفصول اللاحقة– منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: 179)، وفي آية أخرى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24).

وبين القرآن الكريم كذلك أن القلب "مَحَلّ الهداية والإيمان والعلوم والمعارف والإرادة والضبط"[1]، كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن: 11)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: 260).

وفي قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: 225) دلالة على أن القلب هو مَحلّ النظر الإلهي والاعتبار عند الحساب والمؤاخذة، قال السعديّ في تفسيره لهذه الآية: "أي لا يؤاخذكم بما يجري على ألسنتكم من الأيمان اللاغية التي يتكلم بها العبد من غير قصد منه ولا كسب قلبه، وإنما المؤاخذة على ما قصدهُ القلب"[2].

ومما يتوافق في الدلالة مع الآية السابقة هو قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن

([1]) الشربيني، زكريا، والفقي، إسماعيل، ومنصور، عبد المهدي، السّلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس، ص55.

([2]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص101.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب: 5)، أي "ولكن الجُناح فيها تعمدت قلوبكم"[1]، والمقصود هو أن "الإثم يحصل بتعمد نسبة الابن لغير أبيه، وهو يدري أنه ابن غيره"[2] .

والمقصود من بيان أن كون القلب هو محل الهداية والنظر الإلهي والمؤاخذة الشرعية هو أنّ هذا يمثل جانباً من المفهوم الإسلامي للقلب كما جاء في النصوص.

ومما جاء في أقوال المفسرين حَوْلَ لفظة القلب ما قاله أبو حيان الأندلسي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: 97) وفيه: "وخصَّ القلب ولم يأت عليك(أي شخص النبي عليه الصلاة والسلام بل تنزَّل على قلبه)؛ لأن القلب هو محلّ العقل والعلم وتلقّي الواردات، أو لأنه صحيفته التي يُرقم فيها(القرآن) وخزانته التي يحفظ فيها، أو لأنه سلطان الجسد، أو لأن القلب خيار الشيء وأشرفه، أو لأنه بيت الله"[3]. وقال ابن عاشور في بيانه لمعنى القلب في هذه الآية ما يأتي: "والقلب هنا بمعنى النفس وما به الحفظ والفهم، والعرب تطلق القلب على هذا الأمر المعنوي، نحو: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق: 37)، كما يطلقونه أيضاً على العضو الباطني الصنوبري"[4]. أما في قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: 7)، فقد بيّن ابن عاشور أن القلب هنا جاء بمعنى العقول، حيث إن الغشاوة والغطاء كان على العقل لعدم نفوذ الإيمان والحق والإرشاد

([1]) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج8، ص453.

([2]) الزحيلي، وهبه بن مصطفى، التفسير الوسيط، ج3، ص2052.

([3]) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ص513.

([4]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج1، 622.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إليها، وقال في توضيحه لذلك: "والمُراد من القلوب هنا الألباب والعقول، والعرب تطلق القلب على اللحمة الصنوبرية، وتطلقه على الإدراك والعقل، وهو المُراد هنا ومقره(العقل) الدماغ لا محالة، ولكن القلب هو الذي يمدّه بالقوة التي بها عَمَل الإدراك"[1]، وفي موضع آخر أكّد كلامه في أن القلب هو المركز الذي يغذي العقل بقوة الإدراك والتفكير، عندما فسّر الآية (10) من سورة البقرة: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾، حيث قال: "وأطلق القلوب هُنا على محل التفكير كما تقدّم عند قوله تعالى:﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (البقرة: 7)"[2].

يلحظ مما سبق حول معاني لفظة "القلب" في القرآن ما يأتي:

1- أن القلب يرتبط بمعاني عدة، منها: الروح والعلم والفهم النفس، والعقل.

2- أن القلب يتقلب وتتغيّر حاله من حال إلى حال.

3- أن القلب هو محلّ الهداية والإيمان والعلوم والمعارف والإرادة والضبط، وأنّه محلّ النظر الإلهي والاعتبار عند الحساب والمؤاخذة.

4- أن القلب هو تلك اللحمة الصنوبرية التي تقوم بأعمال باطنة مختلفة.

معاني لفظة القلب في السنة

قامت الباحثة بالنظر في عشرات كتب السنة وشروحاتها بهدف التوصل إلى معاني القلب في السنة، وتبين لديها أثناء ذلك أن تعريف القلب عند علماء الحديث والسنة جاء قليلا، ولعل ذلك راجع لوضوح المراد به في الأذهان.

ومن تلك المواطن القليلة التي جاء فيها شيء من البيان لمفهوم القلب:

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج1، 254-255.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج1، 254-255..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلام النووي عند شرح حديث النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام: **(ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحتْ صلح الجسد كلّه، وإذا فسدتْ فَسَد الجسد كله، ألا وهي القلب)**[1] حيث قال: "والمضغة القطعة من اللحم، سميت بذلك؛ لأنها تصنع في الفم لصغرها، قالوا المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب"[2] .

ومنها ما قاله ابن الأثير في حديثه عن معنى القلب في قول النبي صلى الله عليه وسلم **(أتاكم أهل اليمن، هم أرقّ قلوباً، وألين أفئدة)**[3] وجاء فيه: "القلوب: جمع القلب، وهو أخصّ من الفؤاد في الاستعمال، وقلب كل شيء لُبُّه وخالصه"[4].

كما قدّم الزّرقاني في كتابه شرح الموطأ للإمام مالك توضيحاً حول لفظة القلب حيث قال: "القلب جزءٌ من البدن خلقه الله تعالى وجعله للإنسان محلّ العلم وغير ذلك من الصفات الباطنة، وجعل ظاهر البدن محلّ التصرفات العقلية والقولية، والقلب يتقلب بين الخواطر الحسنة والسيئة"[5] .

ويلحظ مما تقدّم حول معاني لفظة "القلب" في السنة ما يأتي:

1- أنّ مفهوم القلب في كتب شرح الحديث النبوي جاء قليلاً.

2- أنّ القلب جاء بدلالة لفظ "المضغة" ذاك الجزء المادي من الجسد.

([1]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج3، ص1219 ح رقم: 1599.

([2]) النووري، محي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج11، ص29.

([3]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، باب قدم الأشعريين وأهل اليمن، ج5، ص173، ح رقم: 4388.

([4]) ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثير، ج4، ص96.

([5]) الزرقاني، محمد عبد الباقي، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ج3، ص103.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- أنّ القلب يطلق على الجزء المادي في الجسد، ويطلق على العمليات المعنوية بدلالة اقتران إصلاح الجسد بصلاح هذه المضغة "القلب" في حديث: (إذا صِلحت صلح الجسد كله).

تعريف القلب في الاصطلاح

تقصد الباحثة بكلمة الاصطلاح هُنا أقوال العلماء المسلمين المتقدمين منهم والمعاصرين الذين بحثوا لفظة القلب في ضوء القرآن والسنة.

وتكون البداية عند ابن تيمية، الذي أولى القلب اهتماماً واضحاً كما يظهر من مؤلفاته[1]، حيث بين أن "القلب هو الملك والأعضاء جنوده، وهو المضغة الذي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فَسدت فسد لها سائر الجسد"[2]، وأنه الأصل في جميع الأفعال والأقوال، فما أمر الله به من الأفعال الظاهرة فلا بد فيه من معرفة القلب وقصده، وما أقر به من الأقوال والمنهي عنه في الأقوال والأفعال إنّما يعاقب عليه إذا كان بقصد القلب"[3]. و"ينظر ابن تيمية إلى القلب على أنّه محل النية والإرادة واليقين والشك والخشوع واللين والقساوة والوجل وغير ذلك، كما أنّه محل للأعمال الباطنة كالتوكل والمحبة والإخلاص وغيرها"[4]، وهذا كله يشكل مفهوما للقلب ويوضح حقيقته الشرعية.

وأما ابن القيم فيرى في مفهومه للقلب وشرحه لحقيقته الشرعية أنّ القلب هو ملك الأعضاء والمقصود بالأمر والنهي، وأن لله عبودية ظاهرة على اللسان والجوارح، وعبودية باطنة

([1]) لقد خصص ابن تيمية مؤلفات كاملة للقلب كالتحفة العراقية وهي جزء من مجموع الفتاوى، كما أن فهارس مؤلفاته يظهر فيها تكرر لفظ القلب كثيرا.

([2]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوى، ج2، ص6.

([3]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوى، ج14، ص119.

([4]) خطاطبة، عدنان مصطفى، بِنْية الشّخصية الإنسانية ومحدداتها وسماتها عند ابن تيمية، مجلة جامعة الملك سعود، ص547.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقرها القلب، وصلاح الأولى مرتهن بصلاح الثانية، حيث إنّ عمل القلب هو روح العبودية ولبّها، فإن خلا عمل الجوارح من مقصود القلب للعبودية كان كالجسد للأرواح[1] .

وبين كذلك أن القلب يطلق على معنيين: "أحدهما: أمر حسي وهو العضو اللحمي الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وفي باطنه تجويف وفي التجويف دم أسود، والثاني أمر معنوي هو لطيفة ربانية رحمانية روحانية لها بهذا العضو تعلق واختصاص، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسانية"[2]. كما أنه يشير لحقيقة أساسية في المفهوم الشرعي لحقيقة القلب وهي: أنّ القلب له قولٌ وعمل، وتفصيل ذلك أنّ قول القلب "هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه"[3]، والظاهر من النص أن مقصود ابن القيم بهذا هو إيمان القلب، وأما عمل القلب فمنه المحبة والتوكل والإنابة والخوف والرجاء والإخلاص والصبر والرضا والخضوع والإخبات والطمأنينة، وغيرها من أعمال القلوب.

ويرى الغزالي أن لفظ القلب يطلق على معنيين: أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف، والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية تمثل حقيقة الإنسان، وأنّ القلب بهذا المعنى هو المدرِك والعالم والعارف من الإنسان. وأن لفظ القلب حيثما ورد في القرآن والسنة فالمقصود به هو تلك اللطيفة وذاك الجزء الذي يفقه من الإنسان ويدرك حقيقة الأشياء ويعرفها[4]؛ لأنه هو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب[5] .

([1]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، ج3، ص192.

([2]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، ص414.

([3]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص120-121.

([4]) الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، ج3، ص3.

([5])الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، ج3، ص5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن تعريفات المعاصرين للقلب، تعريف شادية التل، حيث تقول: "القلب هو عضو عضلي مجوف له شكل صنوبري مودع في جوف الإنسان من الجانب الأيسر، وهو مسؤول عن النشاط الفسيولوجي لجسم الإنسان، فهو أول عضو يتحرك في الجسد وآخر عضو يسكن فيه، وهو المسؤول عن النشاط المعنوي له، ولا يستقيم أمر النشاطين الفسيولوجي والمعنوي للقلب إلا بوجود مصدر واحد للتوجيه"[1] .

ومنها تعريف القيسي، حيث بين أن القلب ليس المُراد به ذلك العضو يسار الجسد البشري، وإنما المُراد به جهاز الإدراك المعرفي البالغ التعقيد ذو الوظائف المتعددة والمتداخلة والمتميزة، وأنه محلّ الانفعالات التي تنشأ عن وعي العقل لحقائق خارجية، حيث يخزنها القلب ويوجه العقل لاتخاذ ردّ الفعل المناسب عليها[2]. والقلب أهم عناصر الشّخصية، وهو "محل ومستودع القوى الانفعالية والعاطفية والإدراكية"، وهو محلّ الإرادة والعقل وآلة التفكير، وأن القلب العضوي اللحمي تربطه علاقة بالقلب المعنوي المسؤول عن الانفعالات والإدراك على التفكير، وهي كعلاقة العقل بالمخ، فكما أنّ العقل هو القوة الصادرة عند الدماغ، فالقلب فيه قوة معنوية صادرة عنه[3] .

يلحظ مما سبق حول معاني لفظة القلب في الاصطلاح ما يأتي:

- أن القلب يطلق على معنيين: الجزء المادي في الإنسان والذي سبق الإشارة إليه بكلمة "المضغة" ووظيفته الرئيسية ضخ الدم وتزويد الجسد به، والجزء المعنوي المسؤول عن القيام بالأعمال الباطنة المتعددة كالقصد والإرادة والمحبّة وغيرها.

([1]) التل، شادية أحمد، الشّخصية من منظور نفسي إسلامي، ص20.

([2]) القيسي، مروان الشّخصية بين نظريات علم النفس والعقيدة الإسلامية، بحث منشور، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، م14، العدد1، 1998، ص261.

([3]) القيسي، مروان الشّخصية بين نظريات علم النفس والعقيدة الإسلامية، ص262.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أن هناك علاقة بين القلب المادي والقلب المعنوي، تتوضح في اعتبار القلب المعنوي قوة ناتجة عن القلب المادي، لذا فإن صلاح الجسد ارتبط بصلاح القلب، وفساده من فساد القلب.
- أن القلب هو محلّ الانفعالات والعواطف والتفكير، وهو المحرّك الذي يوجّه العقل.

تعريف الباحثة للقلب في ضوء القرآن والسنة:

بعد أن قدمت الباحثة توضيحاً حول معاني القلب في اللغة والقرآن والسنة والاصطلاح، فإنه يمكن لها تعريف القلب بما يتفق مع توجه الدراسة بالآتي:

القلب: مضغة لحمية صنوبرية داخل التجويف الصدري، ومُكَوّن باطني لبِنْية الشّخصية، يُغذي الجسد بالدم، ويقوم بالأعمال الباطنة: الانفعالية والإرادية والإدراكية كالقصد والتوكل والخشوع والمحبة والإدراك والتعقل والتفقه، وذو علاقة قوية بظاهر الشّخصية، تتبعه الجوارح في صلاحه أو فساده، تبعاً لتقلب أحواله وتغير اتجاهاته.

ثانيا: مفهوم الفؤاد.

تناولت الباحثة في هذا الجزء من الدراسة مفهوم الفؤاد كونه اللفظة ذات الصلة المرتبط بلفظة القلب، وفيما يأتي بيان لمعناها في كل من: اللغة والقرآن والسنة والاصطلاح.

تعريف الفؤاد في اللغة

تعود لفظة الفؤاد في اللغة إلى "الأصل الثلاثي (فَأَد)، يُقال: فأد الخُبز واللحم: شواه ومنه التوقّد والتحرّق والتفؤد، ومنه الفؤاد: للقلب مذكر جمعه أفئدة"[1]، و"فأد الخبزة: شواها، والفئيد: ما شوي من الخبز على النار، والتفؤد: التوقد، والفؤاد: القلب لتوقده وتفؤده، والفؤاد: القلب، وقيل:

([1]) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو ظاهر، القاموس المحيط، ص305.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسطه، وقيل: الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبّته وسويداؤه، والجمع أفئدة"[1]. ويقال للرجل "مفؤود: أي ضعيف الفؤاد، لا فؤاد لَهُ، والتفؤد التحرّق والتوقّد، وقيل أصل الفأد الحركة، والتحريك، ومنه اشتق الفؤاد؛ لأنه ينبض ويتحرك كثيراً، وقيل الفؤاد والقلب مترادفان، وقيل القلب مضغة في الفؤاد، والقلب أخص من الفؤاد، لوصف القلوب في الحديث[2] بالرقة والأفئدة باللين"[3].

يلحظ مما تقدم أن علماء اللغة انقسموا إلى فريقين من حيث موقفهم من الفرق بين الفؤاد والقلب: الأول: يرى أن الفؤاد هو القلب، بحيث يكون اللفظان مترادفان، لهما نفس المعنى. الثاني: يرى أن أحدهما أخص من الآخر، فالفؤاد غشاء القلب، والقلب هو وسطه.

كما يلحظ أن أصل كلمة "الفؤاد" يأتي بمعنى (الشَّوي)، وهذه العملية تحتاج إلى التقليب باستمرار حتى النضج، والناظر إلى أصل كلمة القلب وهو "قلَب" يصل إلى أن الكلمتين تلتقيان في معاني متقاربة في أصولهما اللغوية، وهذا ما قد يرجح أن الفؤاد والقلب مترادفان.

معاني لفظة الفؤاد في القرآن

وردت لفظة الفؤاد في القرآن الكريم بمشتقات مختلفة بصيغة المفرد والجمع، وجاء في مفردات ألفاظ القرآن أن "الفؤاد كالقلب، لكن يُقال لَهُ فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد، أي التوقد، يُقال: فأدت اللحم: شويت، ولحم فئيد مشوي، قال تعالى:﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ (النجم: 11)، وجمع الفؤاد: أفئدة. قال تعالى: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: 37) [4].

([1]) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج3، ص321-329.

([2]) يقصد بذلك الحديث النبوي في وصف أهل اليمن وسيأتي ذكره

([3]) الزبيدي، مرتضى محمد، تاج العروس في جواهر القاموس، ج8، ص476-477.

([4]) الراغب، الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص490.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال السعدي في تفسيره الآية الكريمة:﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ (النجم: 11) "أي: اتفق فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، فلم يكذب فؤاده ما رآه بصره، وأنه يتيقنه حقاً بقلبه ورؤيته"[1].

وقد جاء في تفسير بعض الآيات ما دل على أن القلب هو الفؤاد، منها قول الله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: 120) فقال ابن كثير أن كل ما أخبر الله تعالى به النبي عليه الصلاة والسلام من أنباء الرسل والأمم السابقة جاء لتثبيت فؤاده: أي قلبه[2]. وقد وافق السعدي ابن كثير في كلامه حول تفسير الآية حيث قال: "إن الحكمة من ذكر أخبار الأنبياء هي [نثبت به فؤادك] أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر"[3]، وأيدهما في ذلك القرطبي حيث أورد في تفسيره أن تثبيت الفؤاد هو زيادة اليقين والشد على القلب ليصبر ولا يجزع[4] .

أما ابن عاشور فلم يورد في تفسيره للآية ما يشير إلى أن القلب هو الفؤاد، حيث اقتصر على قوله "والفؤاد: أطلق على الإدراك كما هو شائع في كلام العرب، وتثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم زيادة يقينه بما وعدهُ الله، وتجدد تسلية على ما يلقاه من قومه من التكذيب وذلك يزيده صبراً، والصبر تثبيت الفؤاد"[5]. وإنْ كان ابن عاشور لم يصرّح بأن الفؤاد هو القلب، إلا أنه في قوله "الفؤاد أطلق على الإدراك" قد يكون أعطى إشارة على أن الفؤاد هو القلب، وذلك لأن الآيات التي تحدثت عن القلب نسبت إليه عمليات الإدراك والفهم.

([1]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص818.

([2]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص363.

([3]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص392.

([4]) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص116.

([5]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج12، ص192.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما قد يتوافق مع القول بأن القلب والفؤاد واحد هو قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(القصص: 10)، حيث جاءت الآية بلفظ الفؤاد وقد وصفته بالفراغ، ثم ألحقته بلفظ القلب وقد وصفته بالربط، وفي هذا إشارة أن القلب والفؤاد قد يكونان بمعنى واحد، قال ابن كثير: "قال تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى إنه أصبح فارغاً، أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، وإن كادت لتظهر أنه ذهب لها وَلد وتخبر بحالها، لولا أن الله ثبتها وصبرها"[1]. وفي تفسيره لهذه الآية أكدّ السعدي قوله الذي لم يخبر به صراحة على أن القلب والفؤاد مترادفان، حيث قال أن أم موسى كادت أن تبدي وتظهر بما في قلبها لولا أن ثبتها الله فصبرت ولم تفعل[2].

إلا أن ابن عاشور صرّح هنا بأنّ "الفؤاد يستعمل في معنى العقل واللّب، والفراغ مجازى أي عدم جولان معنى ذلك الأمر من العقل، أي ترك التفكير فيه"[3]، إلا أنه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: 37) فإنّه يقول صراحة أن الفؤاد هو القلب، حيث جاء في كلامه "الأفئدة: جمع فؤاد وهو القلب. والمُراد به هُنا النفس والعقل"[4].

وبيّن السعدي أن معنى قوله تعالى: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: 37) أي: تحبهم وتحب الموضع الذي هم ساكنون فيه"[5]، وبما أن المقصود هو الحبّ، إذن فهذه إشارة إلى أن الفؤاد هو القلب؛ لأن المحبة عمل قلبي

([1]) ابن كثير، إسماعيل بن عُمر، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص223.

([2]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص612.

([3]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج20، ص80.

([4]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحوير والتنوير، ج13، ص241.

([5]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص427.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باطني. وقال القرطبي في بيانه للآية: "الأفئدة جمع فؤاد وهي القلوب، وقد يعبر عن القلب بالفؤاد، بقوله: (تهوى إليهم) أي تحن إليهم وتهواهم وتجلهم"[1].

ومما تقدم يمكن القول أن لفظة الفؤاد في القرآن لم يتحدد في معنى واحد، حيث جاءت بمعاني: القلب، والعقل، والإدراك، وهذا ما توصلت إليه الباحثة في حدود الآيات التي بحثت في تفسيرها عند عدد من علماء التفسير، مع الإشارة إلى أنّ غالب الآراء دارت في فلك الترادف بين القلب والفؤاد.

معاني لفظة الفؤاد في السنة

بتتبع لفظة الفؤاد في أحاديث الصحيحين ظهر أنها لم ترد إلا في اشتقاقين[2]:

الأول: فؤاد، وقد وَرَد مرّة واحدة.

الثاني: أفئدة، وقد وردت في عشر مرات مع التكرار.

وجاء في كتاب النهاية في غريب الحديث أنّ "الفؤاد: القلب، وقيل: وسطه، وقيل: الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه، وجمعه أفئدة"[3].

ولمزيد بيان لمعنى لفظة الفؤاد في السنة، فسيتم بحث دلالتها من خلال شرح عدد من الأحاديث التي وردت فيها اللفظة، وذلك بالرجوع إلى كتب شروح الأحاديث المعتمدة.

ورد في صحيح البخاري، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتّلبينة[4] للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(أن**

([1]) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 9، ص373.

([2]) أجرت الباحثة استقراءاً للفظة الفؤاد في الصحيحين وتوصلت إلى النتيجة المذكورة.

([3]) ابن الأثير، مجد الدين الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، ص405.

([4]) سيأتي شرح الحديث وبيان معنى التلبينة عند الكلام على العمليات التربوية للقلب في الفصل الثاني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التّلبينة تُجمّ فؤاد المريض، وتذهب ببعض الحُزن)[1]. بيّن ابن حجر أنّ معنى (تُجِمّ فؤاد المريض) أي: تريحه وتزيل عنه الهم وتنشطه[2]، ولم تجد الباحثة غير هذا الشرح للحديث المذكور أعلاه، حيث إنّ بقية الكتب التي شرحت الحديث لم تأتِ بزيادة على ذلك.

ومن الأحاديث التي ورد فيها لفظة الفؤاد قول النبي عليه الصلاة والسلام: **(أتاكم أهل اليمن هم أرقّ أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة بما فيه)**[3]، وفي لفظ آخر **(أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرقّ أفئدة، الفقه يمان، والحكمة يمانية)**[4]. قال ابن حجر في شرحه للحديث: "وقولُهُ أرق أفئدة أي أن غشاء قلب أحدهم رقيق، وإذا رقّ الغشاء أسرع نفوذ الشيء إلى ما وراءهُ"[5]، وقال في موضع آخر: "قوله أرق أفئدة وألين قلوباً، أي: لأن الفؤاد غشاء القلب، فإذا رقّ نفَذ القول، وإذا كان القلب ليناً علق كل ما يصادفه"[6]. وبين في موضع آخر الآراء في معنى الفؤاد حيث قال: "قيل الفؤاد القلب وقيل غير القلب، وقيل غشاؤه وجمع الفؤاد أفئدة"[7].

وفي بيانه لمعنى الحديث وضّح النووي أن القلب هو الفؤاد، فقال: "الفؤاد هو القلب فعلى هذا يكون تكرر لفظ القلوب بلفظين وهو أولى من تكريره بلفظ واحد"[8]، إلا أنه عاد لينقل عدد من الآراء، فقال: "وقيل الفؤاد غير القلب وهو عين القلب، وقيل باطن القلب، وقيل غشاء القلب،

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب التلبينة للمريض، ج7، ص124، ح رقم: 5689.

([2]) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج10، ص146.

([3]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قدم الشعريين وأهل اليمن، ج5، ص173، ح رقم 4388.

([4])البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قدم الشعريين وأهل اليمن، ج5، ح رقم 4390.

([5]) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري علي، شرح صحيح البخاري، ج6، 352.

([6])ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري علي، شرح صحيح البخاري، ج8، ص100.

([7])ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري علي، شرح صحيح البخاري، ج1، ص165.

([8]) النووي، محي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج2، ص33-34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما وصفها باللين والرقة فمعناه أنما ذات خشية واستكانة سريعة الاستجابة والتأثير سالمة من الغلط والشدة والقسوة"[1].

وقد بين القاضي عياض أن "معنى أرقّ أفئدة وقلوباً وألين وأضعف: متقارب، وكلها راجع إلى ضد القسوة والغلظ"، وقال: إن "ذكر القلوب والأفئدة هنا بمعنى واحد تكررت باختلاف لفظ كما اختلف اللفظ الذي قبلها(أي الرقة واللين)، وقد يكون بينهما فرق إذ قيل: إن الفؤاد داخل القلب، فوصف القلب باللين والضعف والفؤاد بالرقة، وقد يكون الإشارة بلين القلب إلى خفض الجناح ولين الجانب، والانقياد وترك الغلظ وهذه صفة الظاهر، والإشارة برقة الأفئدة إلى الشفقة على الخلق والعطف والنصح، وهذه صفة الباطن"[2] .

وبالنظر إلى ما تقدّم يتبين أن شروحات السنة لم تقدم توضيحاً يزيد عَمّا قَدّمته مؤلفات التفسير، حيث إن معنى الفؤاد في السنة جاء ليكون ضمن احتمالين اثنين:

الأول: أن الفؤاد هو القلب، حيث إن لهما نفس المعنى.

الثاني: أن الفؤاد يختلف عن القلب، حيث إن الفؤاد داخل القلب، وهو عينه وغشاؤه.

معاني لفظة الفؤاد في الاصطلاح

يقول الحكيم الترمذي إن الفؤاد "هو معدن الرؤية، وهو مشتق من الفائدة؛ لأنه يرى من الله فوائد حبّه، فيستفيد الفؤاد بالرؤية ويتلذذ القلب بالعلم، و إذا لم يرَ الفؤاد لم ينتفع القلب بالعلم"[3].

وجاء في كتاب الكليات أنّ "الفؤاد: القلب، وقيل: باطن القلب، وقيل: هو غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام في أهل اليمن: **(وألين قلوباً وأرق أفئدة)**[1]. والفؤاد الرقيق تسرع إحالته، والقلب الغليظ القاسي لا ينفعل لشيء"[2].

([1]) النووي، محي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج2، ص33-34.

([2]) أبو الفضل، القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج1، ص301.

([3]) الترمذي، محمد بن علي، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، ص24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك من بيّن حقيقة الفؤاد بذكر ما يقوم به من أعمال من المعرفة التي تقوده إلى الشكر أو الكفر، وأنه يحاسب ويُسأل، ويتقلب ويثبت، ويصدّق، ويتعرض للميل والإعزاء [3].

ثالثا: العلاقة بين القلب والفؤاد

في بيانه للعلاقة بين القلب والفؤاد، يقول الحكيم الترمذي: "ومثل الفؤاد في القلب كمثل الحدقة في سواد العين، وكمثل المسجد الحرام في داخل مكة. وهذا الفؤاد موضع المعرفة وموضع الخواطر وموضع الرؤية، وكلما يستفيد الرجل يستفيد فؤاده أولاً ثم القلب، والفؤاد في وسط القلب"[4].

ويقول في موضع آخر: "واسم الفؤاد أدق معنى من اسم القلب، ومعناهما قريب كقرب معنى الاسمين الرحمن والرحيم، فحافظ القلب هو الرحمن؛ لأن القلب معدن الإيمان، وحافظ الفؤاد هو الرحيم. وقال أهل التفسير ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص: 10): ربط القلب بنور التوحيد، وذلك أن القلب يعلم، والعالم يحتاج إلى ربط التأييد حتى يطمئن بذكر الله، أما الفؤاد فإنه يرى ويعاين فيقع له الفراغة ولا يحتاج إلى الربط بل يحتاج إلى معونة المدد بالهداية. فوصف الفؤاد بالفراغة وفضله على القلب"[5].

بالنظر فيما ما سبق، فإن الباحثة تخلص إلى ما يأتي:

([1]) تقدم نص الحديث بروايته وتخريجه في العنوان السابق، وهو في البخاري.

([2]) الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات بالفروق الفردية، ص696.

([3]) الجوزو، محمد علي، مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، ص240-243.

([4]) الترمذي، محمد بن علي، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، ص4.

([5]) الترمذي، محمد بن علي، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، ص25.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- في رأي أهل اللغة أن علاقة القلب بالفؤاد قد تكون علاقة ترادف، أو أعم وأخص حيث أن القلب أعم والفؤاد أخص، أو الفؤاد أعم والقلب أخص.
- في رأي علماء التفسير أن علاقة القلب بالفؤاد توافق رأي أهل اللغة، أي أن اللفظين إما مترادفان، وإما أن يكون القلب أعم والفؤاد أخص، إلا أن ابن عاشور في مواضع معينة كان تفسيره للفؤاد أنه العقل.
- أن علماء السنة قدموا كلاماً عن القلب والفؤاد يتوافق مع ما هو عند أهل اللغة، وأهل التفسير، حيث كانت آراؤهم تدور في مدار الترادف، أو الاختلاف.
- من الناحية الاصطلاحية وجدت الباحثة أن الآراء كذلك لا تخرج عن الآراء المتقدمة.
- لم يحظ مفهوم الفؤاد بالاهتمام من حيث بيان المفهوم كما حظي به القلب.

وترى الباحثة أن العلاقة بين القلب والفؤاد تكاد تكون علاقة ترادف، حيث إن بعض آيات القرآن الكريم تنسب بعض الأعمال الباطنة للقلب تارة وللفؤاد تارة، ومثالها عملية الصَّغْو، حيث جاءت مقترنة ومنسوبة للقلب في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾ (التحريم: 4)، بينما جاءت مقترنة بالفؤاد ومنسوبة لَهُ في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ (الأنعام: 113).

وفي الوقت نفسه جاءت لفظة القلب والفؤاد في سياق قرآني واحد، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (القصص:10). والقرآن لا يجمع لفظين في آية واحدة ليدلان على ذات المعنى، لأن ذلك ينافي إعجازه البياني. ويتوافق مع ذلك ما ورد في حديث النبي عليه الصلاة والسلام:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً)[1]. ومن هنا لا بد من وجود فارق بينهما في المعنى أو أن هناك حاجة لتوجيه فهم النصوص.

فمن جهة وجود فارق فإنه يمكن القول إن القلب تضمن معنيين: معنى مادي جسدي وآخر معنوي، وهذا ما تبيّن من أقوال العلماء التي سبق ذكرها في مواضعها، بينما الفؤاد لم يرد إلا بمعنى واحد وهو المعنوي، لذا يمكن القول أن القلب هو الأصل والأساس والأعم، والفؤاد أخص منه، بحيث أنه قد يتبع القلب في المعاني المعنوية.

ومن جهة توجيه المسألة، فيمكن القول أن القلب والفؤاد في معناهما وعلاقتهما ببعض، هما كمثل مفهومي: الإيمان والإسلام، فالإيمان والإسلام كل منهما يدل على ما يدل عليه الآخر إذا انفردا في السياق، وإذا اجتمعا اختص كل منهما ببعض المعاني[2]. وكذلك الحال تماماً مع القلب والفؤاد. فهما إذا اجتمعا في السياق اختص كل منهما ببعض الأعمال الباطنة، وإذا انفردا في السياق، دل كل منهما على عموم ما يدل عليه الآخر. وهذا اجتهاد قابل للأخذ والرد. والله أعلم.

وإجرائياً، فإنّ الباحثة ستأخذ في دراستها هنا التساوي بين دلالة معنى القلب والفؤاد، حيث ستعتمد كل العمليات والسمات وغيرها مما ينسب للقلب أو للفؤاد في النصوص الشرعية؛ لأن مقصود الدراسة هو بحث ما ينسب للقلب من عمليات معنوية لا البحث عن الوظائف المادية للقلب. وهو بذلك لا فرق بينه وبين الفؤاد. وواضح أن التفريق بين القلب والفؤاد من جهة العمليات المعنوية أمر صعب، كما يدل على ذلك ما جاء في حديث وصف أهل اليمن: **(أتاكم**

([1]) تقدم تخريجه.

([2]) ينظر حول علاقة الإيمان بالإسلام: ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، ج2، ص490.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً)[1]، فالتفريق بين نِسْبة الرقّة للقلب ونِسْبة اللّين للقلب من الصعوبة بمكان فكلاهما عمليات باطنة متقاربة المعنى.

المبحث الثاني: موقع القلب بين مكونات الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن والسنة

يتناول هذا المبحث مكونات(بِنْية) الشّخصية الإنسانية تمهيداً لتحديد موقع القلب بينها وعلاقته بها، لذا فإنه يتضمن محورين رئيسين هما:

أولاً: مكونات (بِنْية) الشّخصية الإنسانية.

ثانياً: موقع القلب بين مكونات الشّخصية وعلاقته بها.

أولاً: مكونات (بِنْية) الشّخصية الإنسانية

تقصد الباحثة في هذا الجزء من الدراسة بمكونات الشّخصية الإنسانية: أي بِنْية الذات الإنسانية بمعنى مكونات بِنْية الإنسان التي خلقها الله عز وجل عليها في أصل خلقتها. وتتكون بِنْية الشّخصية الإنسانية من العناصر الأساسية الأربعة الآتية: الجسد، الروح، العقل، والقلب[2]. وهناك من يضيف النفس عنصرا خامسا[3] ، إلا أن الباحثة تعتمد في دراستها على أن النفس تعني ذات الإنسان وكليته كما هو وارد في كثير من آيات النفس في القرآن كقوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: 44)، وهذا ما أشار إليه بعض الباحثين من أن النفس تطلق على ذات الإنسان ككل، أو على جزء منه وهو الروح،

([1]) تقدم تخريجه.

([2]) خطاطبة، عدنان مصطفى، الأصل النفسي للتربية الإسلامية، ص22

([3]) السرخي، إبراهيم محمد، السلوك وبناء الشّخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي، ص149.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأن أغلب النصوص تشير إلى أن النفس هي الإنسان ككل[1]. وسيتم هُنا التعريف بكل مكونات (بِنْية) الشّخصية الأربعة الأساسية في ضوء الكتاب والسنة.

5- عنصر الجسم (الجسد).

يعرّف الجسم بأنه الكيان الحسي والمادي الملموس الذي يعبّر عن الذات الإنسانية من حيث مادتها المتمثلة بالعضلات والحواس والظواهر الجسمية المختلفة، كما يتضمن الطاقة الحيوية المنبعثة من الجسم والمتمثلة في مشاعر النفس وطاقة الدوافع الفطرية والنزوعات والانفعالات[2] .

وقد وردت كلمة الجسم في القرآن الكريم غير مرّة بمشتقات مختلفة، ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 247)، وقد بيّن السعدي في تفسيره للآية أنّ الجسم هو محلّ القوة البدنية التي تؤهل الإنسان لتيسير أمور المُلك إذا ما اجتمعت بقوة العلم[3] . كما وافقه في ذلك ابن عاشور إذ قال في تفسيره للآية: "إن الصفات المحتاج إليها في سياسة أمر الأمة ترجع إلى أصالة الرأي وقوة البدن"[4].

وقد وردت كلمة الجسد في السنة حيث جاء في الحديث الشريف أن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يا عبدالله ألم أخبرك أنك تصوم النهار وتقوم الليل)**، فقلت: بلى يا رسول الله، قال: **(فلا تفعل، صم وافطر، وقم ونمْ، فإنّ لجسدك**

([1]) ينظر: عز الدين توفيق، محمد، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص65، والتل، شادية أحمد، علم النفس التربوي في الإسلام، ص31، وخطاطبة، عدنان مصطفى، الأصل النفسي للتربية الإسلامية، ص22.

([2]) قطب، محمد ، منهج التربية الإسلامية،ج1، ص104.

([3]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص107.

([4]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج2، ص491.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليك حقاً، وإنّ لبنيك عليك حقاً، وأنّ لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإنّ لحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام)[1] .

ومما تقدم يتضح أن الجسم (الجسد) هو العنصر المادي في بِنْية الشّخصية الإنسانية وتكوينها، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ (ص: 71)، وأن هذا المكوّن يحمل الصفات والمظاهر الحسيّة للشخصية الإنسانية بما فيها من حواس وعضلات ودم ولحم، وأنه الجزء الذي تظهر عليه السّلوكات وردود الأفعال الناتجة عن تفاعل الشّخصية مع المؤثرات البيئية.

6-عنصر الروح.

تُعدّ الروح أحد أهم العناصر المكوّنة لبنية الشّخصية الإنسانية، وذلك أنها السّر الإلهي الذي به تحيا الأجساد، إذ لا تتم حياة الجسد بلا روح، وأنه بخروجها منه يكون موته وفناؤه.

أما عن بيان ماهية الروح وكنهها فإن العلم لم يقدم الشيء الكثير؛ لأنها أمرٌ غيبي خفي عن عالم الشهادة والعلم عنها قليل، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(الإسراء: 85)، وقد عرّف ابن عاشور الروح عند تفسيره للآية بقوله: "والروح يطلق على الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني الذي دلّت عليه آثاره من الإدراك والتفكير، وهو الذي تقوم في الجسد الإنساني حيث يكون جنيناً بعد أن يمضي على نزول النطفة في الرحم مائة وعشرون يوماً"[2].

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ج6، ص39، ح رقم: 1975.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج15، ص196.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما عن أقوال علماء الإسلام في الروح، فقد أوجز خطاطبة آراء شيخ الإسلام ابن تيمية حول الروح حيث جاء في قوله–أي خطاطبة– إن الروح عند ابن تيمية: "مخلوقة مُبدَعة وليست قديمة وهي عين قائمة بذاتها، ليست من جنس البدن ولا العناصر والمولدات منها، وليست جزءاً من الذات الإلهية، وهي لا تعدم ولا تفني بموتها، ولها صفات الثبوتية والسلبية المخبر عنها شرعاً"[1] .

وعرّفها ابن القيم بأنها "جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي مشابكاً للأعضاء"[2]. وقال في بيانه لصفات الروح أنها "ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجئ وتتحرك وتسكن، وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالدخول والخروج والقبض والتوفي والرجوع وصعودها إلى السماء وفتح أبواب لها وغلقها عنها"[3].

وقد أكثر العلماء والفلاسفة من الحديث عن ماهية الروح وطبيعتها وصفاتها واختلفوا في ذلك قديما وحديثا، ويبقى الوحي هو المصدر الرئيس للمعرفة عن الروح التي هي من أمر الله تعالى، وليس الخوض في آراء العلماء موضع هذه الدراسة.

وتخلص الباحثة إلى القول بأن الروح: تلك الذات اللطيفة غير المحسوسة التي منح الله بها الجسد الحياة، وهي عين قائمة بذاتها لها صفاتها المخبر عنها بالوحي، وهي ليست من البدن ولا جزءاً من ذات الله، وحقيقتها أمر خفي لا يعلمه سوى الله عز وجل.

([1]) خطاطبة، عدنان مصطفى، بِنْية الشّخصية الإنسانية ومحدداتها وسماتها عند ابن تيمية، مجلة جامعة الملك سعود، ص551.

([2]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ص179.

([3]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح، ص38.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7-عنصر العقل.

العقل هو ثالث مكونات بِنْية الشّخصية الإنسانية، وهو ما يتميز به الإنسان عن غيره من سائر الكائنات، لأنه يمنع صاحبه من الوقوع في المهالك، و"العقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل، وهو نقيض الجهل ويدل على حسن الفهم"[1] .

ويعرف العقل بأنه "جوهر روحاني- معنوي- خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان، وهو نور في القلب يعرف الحق والباطل، وهو جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير بالتصرف، وهو ما يُعقل به حقائق الأشياء"[2] .

وبين ابن تيمية مفهوم العقل بقوله: "يُراد به القوة الغريزية في الإنسان التي بها يعقل، وأن العقل في القلب مثل البصر في العين يُراد به الإدراك تارة ويراد به القوة التي جعلها الله في العين يحصل بها الإدراك"[3] ، والعقل أيضاً "جوهرٌ حالٌ في النفس من غير مخالطة للنفس ولا مماسّة لها"[4]، وأنه "عرض من الأعراض قائم بغيره، وهو غريزة أو علم أو عمل بالعلم"[5] .

ويرى الغزالي أن لفظ العقل يطلق على معنيين: "أحدهما: يُراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب، والثاني: يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب"[6].

ومما يُشار إليه عند الحديث عن العقل، أن لفظة (العقل) لم ترد في القرآن بهذه الصيغة، بل وردت بصيغ الفعل، منها قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ

([1]) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص69.

([2]) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص151-152.

([3]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، الاستقامة، ج2، ص161-162.

([4]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج4، ص84.

([5]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوى، ج18، ص338.

([6]) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج3، ص4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 44)، يقول السعدي: "وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير، وينعقل به عما يضره، وذلك أن العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما يُنهى عنه"[1] .

ويرى العلم الحديث أن العقل "شيء وَهْمِي(أي أنه عارض أو صفة وليس مكوِّناً مادياً محسوساً في الشّخصية)، ونموه هو الزيادة المتدرجة في القدرة على مواجهة البيئة والتكيف لها ومن ثم السيطرة عليها، وهذا الأمر كله متوقف على نمو المخ والأعصاب"[2] .

ومما تقدّم يمكن القول: إن العقل هو لفظةٌ تُطلق على غريزة في الإنسان تمكنه من الإدراك وتحقيق المعرفة، وأنه ليس ذات قائمة بنفسها، بل هو عَرَض يقوم بغيره، ويمكن القول أن العقل عَرَض يقوم في الدماغ، وذلك لأن الجزء المسؤول عن القيام بالعمليات المعرفية الإدراكية عند الإنسان كما هو معلوم (الدماغ)، أي أن العقل هو عمليات معنوية يقوم بها الدماغ المادي.

8-عنصر القلب.

القلب هو رابع مكونات بِنْية الشّخصية الإنسانية، وقد تقدّم الحديث عَنه في المبحث الأول من هذا الفصل، لذا فإن الباحثة ستكتفي بما سبق من التوضيح حول القلب وذلك لتجنب التكرار والإطالة.

ثانياً: موقع القلب بين مكونات (بِنْية) الشّخصية الإنسانية وعلاقته بها.

يعد القلب بمفهومه المادي والمعنوي أهم عناصر بِنْية الشّخصية، ومكوناتها، وذلك لأنه يعد أهم أعضاء الجسد، كما أنه محل ومستودع القوى الانفعالية والعاطفية والإدراكية[1] .

([1]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص51.

([2]) التركي، ناصر بن عبدالله، الشّخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ص45.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالنسبة للعلاقة بين القلب والجسم، فهي علاقة مزدوجة، مادية ومعنوية. أما العلاقة المادية فتظهر في كون القلب يضخ الدم إلى كافة خلايا الجسم، فقوام الجوارح مرتبط بعملية ضخ الدم من القلب.

وأما العلاقة المعنوية فتظهر من خلال الحديث النبوي: **(ألا وإن من الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)**[2]، ومنه يمكن القول بأن العلاقة المعنوية بينهما (القلب والجسد) قوية متينة، فالحديث يبين أن صلاح القلب بمعناه المعنوي، يؤدي لصلاح الجسد، قال النووي: "المراد تصغير القلب بالنسبة لباقي الجسد مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب، وفي هذا تأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد"[3].

أما بالنسبة للقلب والروح، فالعلاقة بينهما (علاقة حياة)، أي أن الروح هي التي تمنح القلب الحياة، وعمله مُرتهن ببقاء الروح في الجسد، وما أن تخرج الروح حتى يتوقف القلب عن النبض، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الروح إذا اطمأنتْ بشرع الله، ساقت معها القلب في الإيمان والصلاح، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (الفجر 27-28)، يقول ابن كثير في تفسيره للآية: "يُقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة ارجعي إلى ربك راضية في نفسها، مرضية أي عند الله حيث رضي الله عنها وأرضاها"[4]، ومنه يُفهم أن الروح المطمئنة التي سارت في طريق الهداية، قد تبعها القلب والبدن في ذلك، أو أنه يمكن القول أن

([1]) القيسي، مروان، الشّخصية بين نظريات علم النفس والعقيدة الإسلامية، م14، ع1، ص262.

([2]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب المساقات، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج3، ص1219، ح رقم: 1599.

([3]) النووي، محي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج11، ص27.

([4]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص400.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القلب هو السبب والمؤثر في تحقيق طمأنينة الروح؛ وذلك لأن الطمأنينة لا تحصل إلا بالعلم والإدراك واليقين والإيمان، وذلك كله محله القلب.

وأما عن علاقة القلب والعقل، فقد بحثها علماء المسلمين المتقدمين، واختلفوا في محلّ العقل، هل هو في القلب أم في الدماغ، وانقسموا في ذلك إلى فريقين: الأول يرى أن العقل محلّه القلب، واستند في قوله إلى الآية: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: 46)، والآخر يرى أن العقل محلّه الدماغ، واستدل لقوله هذا بأن الرأس إذا ضُرب زال العقل[1].

ولابن تيمية وجهة نظر فيها جمع بين النصوص وواقع الشّخصية الإنسانية وآراء العلماء، حيث يقول: "قِيلَ: إنَّ الْعَقْلَ فِي الدِّمَاغِ، كَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنْ الْأَطِبَّاءِ وَنُقِلَ ذَلِكَ عَنْ الإمَامِ أَحْمَد، وَيَقُولُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: إنَّ أَصْلَ الْعَقْلِ فِي الْقَلْبِ فَإِذَا كَمُلَ انْتَهَى إلَى الدِّمَاغِ. وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الرُّوحَ الَّتِي هِيَ النَّفْسُ لَهَا تَعَلُّقٌ بِهَذَا وَهَذَا وَمَا يَتَّصِفُ مِنْ الْعَقْلِ بِهِ يَتَعَلَّقُ بِهَذَا وَهَذَا، **لَكِنَّ مَبْدَأَ الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ فِي الدِّمَاغِ وَمَبْدَأَ الإرَادَةِ فِي الْقَلْبِ**. وَالْعَقْلُ يُرَادُ بِهِ الْعِلْمُ وَيُرَادُ بِهِ الْعَمَلُ، فَالْعِلْمُ وَالْعَمَلُ الاخْتِيَارِيُّ أَصْلُهُ الإرَادَةُ، وَأَصْلُ الْإِرَادَةِ فِي الْقَلْبِ، وَالْمُرِيدُ لا يَكُونُ مُرِيدًا إلا بَعْدَ تَصَوُّرِ الْمُرَادِ، فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْقَلْبُ مُتَصَوِّرًا فَيَكُونُ مِنْهُ هَذَا وَهَذَا، وَيَبْتَدِئُ ذَلِكَ مِنْ الدِّمَاغِ وَآثَارُهُ صَاعِدَةٌ إلَى الدِّمَاغِ، فَمِنْهُ الْمُبْتَدَأُ وَإِلَيْهِ الانْتِهَاءُ"[2].

ومما تقدّم فإنه يمكن القول في العلاقة بين القلب والعقل: إن الشّخصية الإنسانية (الإنسان) يقوم بعمليات مختلفة، فإن كانت العمليات عقلية إدراكية فمحلها العقل المتصل بالدماغ، وإذا كانت إرادية فمحلها العقل المتصل بالقلب.

([1]) التركي، ناصر عبدالله ناصر، الشّخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، (42-43).

([2]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوي، ج9، ص303-304.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بمعنى آخر، إن العقل يقوم بعمليات إدراكية عقلية وهذه تتم عن طريق اتصاله بالدماغ، فتكون العمليات ناتجة عن الدماغ، وإنه أيضاً يقوم بعمليات إرادية وجدانية وهذه تتم عن طريق اتصاله بالقلب وتكون العمليات ناتجة عن القلب، وبهذا لا يمكن القول بأن محلّ العقل هو القلب فقط أو الدماغ فقط، بل يتحدد محل العقل بطبيعة العملية التي يقوم بها. وتبقى المسألة شائكة ومعقدة وهذا اجتهاد ضمن الممكن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني: العمليات التربوية للقلب وسماته الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة.

المبحث الأول: العمليات التربوية(الإيجابية) للقلب في ضوء القرآن والسنة.

المبحث الثاني: سمات القلب(الإيجابية)الناتجة عن العمليات التربوية في ضوء القرآن والسنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني: العمليات التربوية للقلب وسماته الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة.

يتناول هذا الفصل بياناً للعمليات التربوية الإيجابية المنسوبة للقلب في النصوص الشرعية من القرآن والسنة، ثم بحث السمات التي اتسم بها القلب نتيجة قيامه بهذه العمليات– وهي سمات من المفروض أن يتسم بها القلب نتيجة لذلك– ويتم ذلك كله ضمن إطار التأصيل الإسلامي المنطلق من القرآن والسنة.

المبحث الأول: العمليات التربوية(الإيجابية) للقلب في ضوء القرآن والسنة.

يختص هذا المبحث من الدراسة ببيان العمليات التربوية الإيجابية للقلب، الواردة في آيات القلب وأحاديثه التي ستكون محل البحث والدراسة، بغية الوصول لتحديدها حسب دلالاتها المتضمنة في سياقات النصوص. وتُبحث العمليات التربوية الإيجابية المرتبطة بالفؤاد بعد عمليات القلب، تباعاً باعتبار أن توجه الدراسة من حيث اعتبار العمليات لا تفرق بين القلب والفؤاد.

تمهيد: المقصود بالعمليات التربوية للقلب ومنهجية تحديدها في القرآن والسنة.

انطلقت الباحثة في دراستها للقلب من القرآن والسنة، لبيان العمليات التربوية المرتبطة به بشكل صريح في سياقات النصوص، لذا تم تحديد مفهوم كل عملية نُسبت للقلب استنادا لأقوال أهل العلم من المفسرين والعلماء، وهذه الخطوة تعد تأصيلا إسلاميا للعملية على اعتبار أن الدراسة تعتمد بالدرجة الأولى على نصوص القرآن والسنة وتفاسيرهما. لذا لن يكون شرح العملية مفتوحا على مصادر المعرفة كلها إلا بحدود ما يمكن أن يخدم فهم العملية فقط حينما تكون منسوبة للقلب لا عموما، ويكون هذا الفهم منطلقا من رؤية القرآن والسنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتُعرّف الباحثة بداية **العمليات التربوية للقلب** في هذا الجزء من الدراسة: **بأنها ما يُنسب إلى القلب والفؤاد في النصوص الشرعية من سلوك(نشاط) إيجابي يقوم به(اختياري) أو يقوم فيه(لا إرادي).**

والطريقة المتبعة في دراسة العمليات التربوية للقلب تتحدد بالخطوات الآتية: استقراء النصوص الشرعية الواردة في القلب والفؤاد وتحديد تلك النصوص التي ترى الباحثة أنها قد تضمنت عملية تربوية (إيجابية) منسوبة للقلب والفؤاد في السياق وفقاً لمفهومها المتقدم الذكر. ثم حصر تلك العمليات وتحديد أسمائها بحسب ورودها في النص، ثم البدء بشرح كل عملية من هذه العمليات، بذكر الأدلة الدالة عليها، ثم بيان وجه الدلالة من كلام المفسرين وأهل العلم، مع إحضار مزيد من التعريف بها حيثما توفر ولزم ووافق المقصود. والخروج بعد ذلك إلى تصور علمي تربوي في تقديم خلاصة لتلك العملية. وقد يكون أحيانا تعليق تربوي ونفسي في إطار التربية الإسلامية ونظرتها في بناء الشّخصية الإسلامية. وآخر ما تود الباحثة الإشارإليه في بيان المنهجية هو أن الترتيب التسلسلي للعمليات جاء وفق الترتيب الهجائي لحروف اللغة العربية.

مدخل: إثبات كون القلب هو مَحَلٌّ للعمليات التربوية

بعد بيان المنهجية التي اتبعتها الباحثة في دراستها للعمليات التربوية للقلب، فإنها قبل الشروع ببحث العمليات وبيانها ترى أنه من المناسب علمياً تقديم الأدلة على أن القلب هو مَحلّ العمليات التربوية الباطنة ومختص بها بين مكونات الشّخصية.

ومن أهم الآيات الدالة على أن القلب هو محلّ العمليات التربوية قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾(الأنفال:24)، بين ابن عاشور أن مقصود الآية هو أن الله بعلمه يخلص بين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرء وعقله خلوص الحائل بين شيئين، وهذا يدل على أنه يكون شديد الاتصال بالشيئين، أي أن الله يعلم عزم المرء ونيته قبل أن تقوم الجوارح بالفعل[1]. وأشار السعدي لما يؤيد الدلالة المتقدمة حيث قال في تفسيره للآية أن معناها: "إياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث يشاء ويصرفها أنّى شاء"[2]. وفي تفسير القرطبي: "قال السدي: يحول بين المرء وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن إلا بإذنه، ولا يكفر أيضا إلا بإذنه، أي بمشيئته. والقلب موضع الفكر"[3]. وجه الدلالة من هذه الآية واضح في كلام المفسرين، فالله إذا أراد منع العبد من القيام بأمر ما أو دفعه للقيام به، أو تغيير رأيه، أو تبديل موقفه، فإنه سبحانه يفعل لك بما له من قدرة على تغيير حال قلبه وما نوى عليه أو اعتقده وعزم عليه، فيحول سبحانه بين الإنسان وما عليه قلبه، وفي هذا دليل على أن القلب هو محلّ لعمليات تقوم فيه ويقوم بها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾(الشعراء: 193-194)، فيه دلالة على أن القلب هو محل العمليات التربوية، ويتضح ذلك من كلام المفسرين إذ قيل أن المعنى في قوله (على قلبك) أي" نزل عليك فوعاه قلبك فثبت فلا تنساه أبدا"[4]، وأن الغاية من تخصيص القلب؛ "لأنه أول مدرك من الحواس الباطنة، ولأن القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والعقل والاختيار، وسائر الأعضاء مسخرة له"[5]، كما أن الله اختار القلب للتنزيل؛ لأنه" هو محل الاعتبار والتأمل والتلقي، وليس لسماع الأذن قيمة إذا لم يع القلب

([1])ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج9،ص 314-315.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص 318.

([3]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص390.

([4])الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، ج3،ص 348.

([5]) القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج9،ص 417-418.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما تسمع، والقلب محلّ التكاليف، ومستقر العقائد، وإليه تنتهي محصلة وسائل الإدراك كلها"[1].

وفي هذا إشارة واضحة ودلالة بيِّنة على أن القلب هو محل العمليات التربوية، ومنه يتم التأمل والتعقل والإدراك، وإليه منتهى العمليات. فنزول الوحي بكلام الله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ليتلقاه من أقوى الأدلة وأصدقها على اعتبار القلب محل للعمليات التربوية.

كما بين ابن القيم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾(ق: 37) أن القلب الحي الواعي هو الذي يعقل كلام الله، وأن غياب القلب وعدم حضوره يؤدي لعدم انتفاع المرء بما يسمع، فقال: "لمن كان له قلب: أي هو المحلّ القابل، والمراد القلب الحيّ الذي يعقل عن الله كما في قوله تعالى:﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(يس: 70) أي حيّ القلب، وقوله (شهيد) أي شاهد القلب حاضر غير غائب، وهذا إشارة إلى المانع من حصول التأثر وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يُقال والنظر فيه وتأمله. فإذا حصل المؤثر وهو الذكر، والمحلّ القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفي المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر: حصل المؤثر وهو الانتفاع بالقرآن والتذكر"[2].

وإن الشواهد في آيات القلب على أنه محلّ العمليات التربوية عديدة، وفيما تقدم ذكره من الأدلة كفاية، وكل عملية تربوية قلبية سيأتي شرحها هي بوجه من الوجوه تعد دليلا ًواقعياً على كون القلب محل للعمليات التربوية.

أما في السنة النبوية فإن أوضح الأدلة على أنّ القلب هو محل العمليات التربوية، وارتباط البدن كله بهذا المكوِّن هو قول النبي عليه الصلاة والسلام: **(أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً:**

([1]) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، ج17،ص 10689-10690.

([2]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تفسير القرآن الكريم(التفسير القيم)،ص 483-484.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)[1]، ففي هذا الحديث تأكيد على السعي في حماية القلب والحفاظ على صلاحه؛ لأن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب في ذلك[2]، وهذا دليل على أن القلب هو محل العمليات التربوية.

ومن الأدلة كذلك قوله عليه الصلاة والسلام: **(إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)**[3]، وفيه دلالة على أن القلب هو محل الاعتبار وأن عليه مدار العمليات التربوية التي يقوم بها الإنسان وعلى قصده من ورائها يتم حسابه، إذ أن المعنى المراد من الحديث أن التقوى لا تحصل من الأعمال الظاهرة بل بما يقع في القلب من خشية ومراقبة لله، أي أن الحساب والجزاء يكون على ما في القلب دون الصور الظاهرة، ومقصود الحديث هو بيان أن الاعتبار يكون للقلب ومقصده[4].

وعليه، فالأدلة المتقدمة من القرآن والسنة تبين بوضوح بأنّ القلب هو مَحلٌ لعمليات تربوية مختلفة. وفيما يأتي تحديد لجملة من تلك العمليات التربوية(الإيجابية) وبيان حقيقتها. مع الإشارة إلى أن تصنيف العمليات هو موقف اجتهادي مبني على رؤية الباحثة وفهمها لسياقات النصوص واصطلاحها لمفهوم العمليات التربوية القلبية.

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، ج 1، ص20، ح رقم 52.

([2]) النووي، محيي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج11،ص 29.

([3]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج4، ص1986، حديث رقم: 2564.

(1) النووي، محيي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج16،ص 121.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منظومة العمليات التربوية للقلب:

العملية الأولى: إخبات القلب.

وردت عملية الإخبات منسوبة للقلب في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾(الحج: 54).

والشاهد هو قوله تعالى: (فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ)، قال ابن عاشور في معناها: "الإخبات: الاطمئنان والخشوع، أي يستقر الإيمان في قلوبهم"[1]، وفي موضع آخر قال: "والمخبت: المتواضع الذي لا تكبر عنده، وأصل المُخبت من سلك الخَبْت وهو المكان المنخفض، والمراد به التواضع والإيمان"[2]، وقال السعدي: "تخبت له قلوبهم: أي تخشع وتخضع وتسلم لحكمته، وهذا من هداية الله لهم"[3]، وقال ابن كثير: "تخبت قلوبهم أي تخضع وتذل"[4]. وقال ابن الجوزي مثله عند تفسيره للآيه[5]، وزاد أبو الطيب على الخشوع معنى السكينة والانقياد[6].

ومما تقدم يظهر من كلام المفسرين أن إخبات القلب هو خضوعه وانقياده بخشوع وسكينة لله، وتسليمه لِحُكْمِه عز وجل.

ويرى ابن تيمية أن القلوب المخبتة، تلك التي يكون بها الحق ثابتا لا يزول مع اجتماع القوة واللين فيه[7]. أما ابن القيم فقد فبيَّن أن إخبات القلب يدور على معنيين هما: التواضع

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج17،ص 303.

([2])ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج17،ص 261.

([3]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص 542.

([4]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص446.

([5]) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، ج3،ص 246.

([6]) أبو الطيب القنوجي، محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج9،ص 71.

([7]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوى، ج13، 270-273.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسكون إلى الله، وهو من أول مقامات الطمأنينة[1] ، وأن "القلب المخبت المطمئن لله وهو الذي ينتفع بالقرآن ويزكو به"[2]، وهناك من عرَّف الإخبات بأنه: "الخشوع والطمأنينة لحسن الجزاء من الله سبحانه وتعالى في الآخرة "[3]، وقيل: "من أوائل مقامات الطمأنينة وهو ورود المأمن من الرجوع والتردد"[4]، وقيل: "هو الخشوع والتواضع والخضوع"[5].

واستناداً إلى ما تقدم فإنه يمكن **تعريف عملية** "**إخبات القلب**": بأنها خضوع القلب وخشوعه وطمأنينته مع التواضع لله عز وجل، وكمال الذلّ والعبادة المقترنة بالوجل الحاصل من الانتفاع بالوحي.

ولا شك أن المربين بحاجة ماسّة في الوقت الراهن للعناية بالتربية الإيمانية نظرية وتطبيقا؛ لأن من مقاصدها الرئيسة الوصول بشخصية المسلم لمرتبة عالية في الإخبات القلبي الذي يتجلى في توقيره للوحي والتعامل معه بإجلال وطاعته طاعةً صادقة نابعة من إحساس داخلي سببه تعظيم الله تعالى.

العملية الثانية: ألفة القلب (تأليف القلب).

وردت الألفة(التأليف) كعملية منسوبة للقلب في القرآن في ثلاثة مواضع: الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(آل عمران: 103)، والثاني: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾(التوبة: 60)، والثالث: في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ

([1]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2،ص 5-6.

([2]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،ص 106.

([3]) أبو طالب المكي، محمد بن علي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، التوحيد، ج1،ص 331.

([4]) أبو إسماعيل الهروي، عبدالله بن محمد، منازل السائرين، ص 29-30.

([5]) الشوكاني، محمد بن علي، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين،ص 428.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(الأنفال: 63).

وكما هو ملاحظ في الآيات الثلاث المتقدمة أن عملية الألفة اقترنت بالقلب مباشرة، وهذا فيه إشارة على أنها عملية قلبية، وفيما يأتي توضيح للعملية من خلال شرح الآيات.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(آل عمران: 103) قال القرطبي عند تفسيرها: "لا تفرقوا متابعين الهوى والأغراض وكونوا في دين الله إخوانا فيكون ذلك منعا لهم عن التقاطع والتدابر"[1]، وبيَّن المراغي أن الألفة هي النعمة المقصودة في الآية؛ لأن فيها حفظاً لدماء المسلمين وجمعهم وجعلهم إخواناً، متآلفين بسبب الإسلام[2].

أما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾(التوبة: 60)، فقد بيَّن ابن عاشور معنى التأليف فقال: "والتأليف: إيجاد الألفة أي التأنيس، والمؤلفة قلوبهم هم الذين تؤلف أي تؤنس نفوسهم للإسلام من الذين دخلوا للإسلام بحدثان عهد، أو من الذين يرغبوا في الدخول في الإسلام، لأنهم قاربوا أن يسلموا"[3]. وقد تساءل الشعراوي عن قوله تعالى: (وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) بسؤال يشرح عملية ألفة القلب حيث قال: "وقول الحق سبحانه: (وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) يثير تساؤلا: هل يؤلّف القلب؟ نقول: نعم، فبالإحسان يؤلف قلب

([1]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج4،ص 159.

([2]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج4،ص 18.

([3]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج10،ص 236.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسان السّوي، وكذلك تؤلف جوارح الإنسان غير السّوي فلا يعتدي على من أحسن إليه باللسان أو باليد"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ وضَّح ابن عاشور أنّ معنى تأليف القلوب أي: جعلها متحابة متوادّة تخلو من البغضاء والأحقاد والإحن[2]، وقال القرطبي إن معنى قوله تعالى: (**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**) أي: جمع بين قلوبهم[3]، وبَيَّن السعدي أن جمع القلوب وتأليفها لا يحدث "بغير قوة الله؛ لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى فهو القادر على جمعها بعد الفرقة"[4].

من التفسير المتقدم للآيات يلحظ أن مفهوم ألفة القلب عند علماء التفسير يدور حول معاني التحابّ والمودة والأنس والاجتماع، وهو نقيض الكراهية والبغضاء.

ووردت هذه العملية في السنة، في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)**[5]، والمقصود بقوله: **(مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ)** أي ما دامت قلوبكم حاضرة وخواطركم مجتمعة، وما دام بين أصحاب القراءة ائتلاف، فإن وقع اختلاف فقوموا عنه[6].

([1])الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي،ج9،ص 5223.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج10، ص64.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص42.

([4]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ص 325.

([5]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن: باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، ج6، 198، ح رقم: 5060.

([6]) العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ج20، ص62.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى ابن تيمية أن "التأليف: التوفيق بين القلوب"[1]، ويراها ابن القيم بمعنى "جعل بعضها يألف بعضا ويميل إليه ويحبه وهو من أفعالها الاختيارية"[2]، وفي كلامه إشارة لكون الألفة من عمليات القلب، ويرى أبو حامد الغزالي أن "الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر"[3]، وقال في موضع آخر: "المراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهي الأسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة"[4]، وعَّد الماوردي الألفة الجامعة من القواعد الثلاث التي يصلح بها حال الإنسان لأنها تجمع الشمل وتمنع الذل؛ لأن الإنسان مقصود بالأذية والحسد على النعمة، فإذا لم يكن آلفاً للناس مألوفاً عندهم لم تسلم نعمته ولم تصفُ له عيشته[5].

واستنادا إلى ما تقدم فإن الباحثة **تعرِّف عملية "أُلْفَة القَلْب"**: بأنها ميل القلب إلى التراحم والتحاب والتواد والاجتماع مع الآخر، وتركه لأسباب الغل والتحاسد والتدابر، وبعده عن أسباب الاختلاف.

وتعد الألفة والود والتراحم من أبرز الأمثلة على الاتجاهات والعواطف التي وردت في القرآن الكريم ونُسبت إلى القلب[6]، وهذا ما دلت عليه الآيات إذ "يشيد القرآن بالمحبة والتآلف بين بين الناس، وبتعاونهم وتماسكهم وتآخيهم"[7]. وهذا يوجب على التربويين والدعاة ضرورة الاشتغال

([1]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ج2،ص 201.

([2])ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص 57.

([3]) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج2،ص 157.

([4]) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين ، ص223.

([5]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، ص 146-147.

([6]) السرخي، إبراهيم محمد، السلوك وبناء الشّخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي، ص 173. 173.

([7]) نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، ص 77.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاشتغال على زرع قيمة الألفة بين المتعلمين وجماهير المدعوين؛ لأن ذلك من أقوى أسباب تماسك الأسرة والجماعة والمجتمع.

العملية الثالثة: أمانة القلب.

وردت هذه العملية في السنة النبوية المطهرة، في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ)**[1]، وَحَدَّثَ عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: **(يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ...)**[2].

والأمانة في الحديث تعني الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(الأحزاب: 72)، والتي جاءت بمعنى عين الإيمان الذي يدفع العبد للقيام بالتكاليف بجدٍّ واجتهاد[3]، وقال النووي:" وَأَمَّا الأَمَانَة فَالظَّاهِر أَنَّ الْمُرَاد بِهَا التَّكْلِيف الَّذِي كَلَّفَ اللَّه تَعَالَى بِهِ عِبَاده وَالْعَهْد الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ"[4]، وفي فتح الباري: "قوله في جذر قلوب الرجال الجذر،الأصل من كل شيء قيل ومنه حتى يبلغ الماء إلى الجذر. وقوله: إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال قيل المراد بها التكليف، وقيل بمعنى ما إذا تمكن في قلب العبد إذ قام بأداء التكاليف"[5].

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ج8، ص 104، ح رقم: 6497.

([2]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ج8، ص 104، ح رقم: 6497.

([3]) النووي، محيي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج2، ص 168.

([4]) النووي، محيي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج2، ص 168.

([5]) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص 81.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يظهر مما تقدَّم أن **أمانة القلب هي عملية قلبية** يستشعر من خلالها قلب المؤمن بتعظيم حقوق الله وتكاليفه الشرعية، وضرورة الوفاء بها، مما يدفعه للقيام بها وأدائها سلوكا عمليا على الوجه المطلوب.

العملية الرابعة: امتحان القلب (تمحيص القلب).

نُسبت عملية الامتحان والتمحيص للقلب بصورة صريحة في آيتين في كتاب الله عز وجل، الأولى: قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ ﴾(آل عمران: 154)، والثانية: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ ﴾(الحجرات: 3).

وبيَّن أهل التفسير المراد بالتمحيص في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ ﴾(آل عمران: 154)، حيث قال ابن عاشور: "التمحيص: تخليص الشيء مما يخالطه مما فيه عيب له فهو كالتزكية، والقلوب العقائد، ومعنى تمحيص ما في قلوبهم تطهيرها مما يخامرها من الرّيب حين سماع شُبَه المنافقين، وعدِّي للقلوب فعل التمحيص؛ لأن القلب هو ما يحصل به الفكر والاعتقاد، وهذا هو عمل التمْحيص"[1]، وقيل التمْحيص هو "التصفية والتطهير مما انطوت عليه القلوب من النيات والعقائد"[2]، وقيل هو"إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين"[3].

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج4، ص 139.

([2]) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج3، ص 397.

([3]) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، ج1، ص 338.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما عن مفهوم امتحان القلب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾(الحجرات: 3)، فقد قال العلماء فيه: "الامتحان الاختبار والتجربة، وفي الآية الامتحان كناية عن تمكُّن التقوى من قلوبهم وثباتهم عليها"[1]، ومعنى قوله تعالى: (ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ) أي "ابتلاها واختبرها، وفي الآية دليل أن الله يمتحن القلوب بالأمر والنهي والمحن"[2]، وتعني كذلك: "وسّعها وشرحها وأخلصها للتقوى"[3]، كما تعني" طهرها ونقاها من كل غش"[4].

وقال الجوزو في حديثه عن امتحان القلب: "ولما كان القلب هو محلّ الإيمان والكفر، ومركز الهداية والضلال، فإنه يتعرض للمواقف الكبيرة التي تظهر حقيقته؛ لأن الله يمتحن القلوب ليقيم الحجة على أصحابها، يمتحنها بالابتلاء والاختبار والفتنة"، كما بيَّن الغرض من امتحان القلوب فقال: "ويأتي امتحان القلوب للتمييز بين المؤمنين والمنافقين، والمخلصين والمشككين"[5]، وبيَّن الرحباوي أنّ "الامتحان الحقيقي إنّما يكون للقلب وإنْ كانت الجوارح والعقول وسيلة لتحقيق النجاح أو الفشل في الامتحان، فالدور الأساسي والرئيسي لملك الجوارح القلب"[6].

ومما تقدم يتضح أن **عملية امتحان القلب وتمحيصه** تعني: اختبار القلب وتطهيره وتخليصه مما يعلق به من شبهات ومحن، للوصول إلى ثباته وخلوصه للتقوى والإيمان والالتزام بمنهج الإسلام.

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج26، ص 223.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 799.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، ج16، ص 309.

([4]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج26، ص 120.

([5]) الجوزو، محمد علي، مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، ص 226-228.

([6]) الرحباوي، سعيد حاج مطلق، حقيقة القلب من الكتاب والسنة، ص 37.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليه، فالشّخصية المسلمة التي تتلقى ابتلاءات وامتحانات في حياتها أكثر وأقوى وتصبر فيها وتظهر منها المواقف الإيجابية، هي شخصية أكثر ثباتا واستقرارا وقدرة على الاستمرار في طريق العطاء والبذل. وهذا يوجب على المربين ضرورة التأكيد دائما على حِكم الابتلاءات والمحن وعواقبها المستقبلية الحميدة في حال تعامل معها المسلم بطريقة إيجابية.

العملية الخامسة: إنابة القلب.

وردت عملية إنابة القلب في آية واحدة من كتاب الله العزيز في قوله تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾(ق: 33).

وقد بين أهل التفسير معنى قوله تعالى: (وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ)، فقيل: "أنه حضر يوم الحشر مصاحبا قلبه المنيب إلى الله، أي مات موصوفاً بالإنابة ولم يُبطل عمله الصالح في آخر عمره، ووصف القلب بالإنابة؛ لأنه الباعث عليها"[1]، وقيل المعنى: "أي لقي الله يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع لديه"[2]، وقيل: "هو القلب السليم المقبل على الطاعة"[3]، وقيل: هو القلب "الراجع إلى الله المخلص لطاعته بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة وإقبال على الطاعة، وهو السليم"[4]. وعليه، فإنابة القلب عند أهل التفسير يدور معناها حول رجوع القلب إلى الله وخضوعه وخضوعه له سبحانه والإقبال عليه مخلصا بالطاعة والعبادة.

وعرَّف ابن تيمية الإنابة بأنها "المحبة المختصة بالله على سبيل الخضوع والتعظيم له عز وجل، وعلى سبيل تخصيصها به تبارك وتعالى"[5]، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 26، ص 320.

([2]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص 406.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي، ج17، ص 21.

([4]) القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج13، ص 179.

([5]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، النبوات، ج1، ص 377.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾(هود: 88) قال: "الإنابة هي الرجوع إلى الله بعبادته وطاعته وطاعة رسوله"[1]، أما ابن القيم فقد عرفها في مواضع عدة فقال: "أصل الإنابة محبة القلب وخضوعه وذله للمحبوب والفرح والسرور بقربة"[2]، وقال: "وحقيقة الإنابة عكوف القلب على طاعة الله ومحبته والإقبال عليه"[3]، وفي موضع آخر قال: "الإنابة هي الرجوع إلى الله عز وجل، ورجوع القلب إليه في كل أحواله، فيبقى الله ملجأه وملاذه ومعاذه وقبلة قلبه عند النوازل والبلايا"[4]. كما بيَّن أن الإنابة تكون بانصراف وتوجه القلب ودواعيه إلى الله عز وجل، وتتضمن معاني المحبة والخشية والذل[5].

ومما تقدم فإنه يمكن **تعريف عملية إنابة القلب**: بأنها رجوع القلب إلى الله ومحبته له وخضوعه له سبحانه والتذلل له والإقبال عليه مخلصاً له السريرة بالطاعة والعبادة والتوبة.

العملية السادسة: إنكار القلب للفتن.

جاء ذكر عملية إنكار القلب للفتن في السنة النبوية دون القرآن، وذلك في حديث رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ)**[6].

ويقصد بعملية إنكار القلب للفتن أي: ردّه إياها وعدم قبوله أو أخذه بها[1]، وكان هذا التفسير الذي قال به أغلب أهل العلم عند بيانهم معنى الإنكار في الحديث.

([1]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوى، ج8، ص 527.

([2]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ج4، ص 1436.

([3]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد، ص 13.

([4]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب من الكلام الطيب، ص 42.

([5]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ج1، ص 173-174.

([6]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبا وأنه يأزر بين المسجدين، ج1، ص 128، ح رقم: 144.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليه فإن مفهوم **عملية الإنكار القلبي** يدور حول رد القلب للشيء ورفضه له وعدم تقبله؛ لعدم اتفاقه مع ما يقوم فيه (القلب) من إيمان وصلاح وهداية.

العملية السابعة: اهتداء القلب.

وردت عملية اهتداء القلب في سورة التغابن فقط في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾(التغابن: 11).

جاء في تفسير الطبري: "(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ): ومن يصدّق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يوفّق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه. ويهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[2]، وبين القرطبي أن معنى هداية القلب في الآية يتضمن معاني الثبات على الإيمان، والصبر والرضا واليقين والسكينة والطمأنينة[3]، وقال السعدي: "فإذا آمن(المؤمن) أنها(المصائب) من عند الله، فرضي بذلك، وسلم لأمره، هدى الله قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر"[4].

ومما تقدم يلحظ أن معنى **عملية اهتداء القلب** يدور حول ثبات القلب ورضاه وقوة يقينه بما يقضيه الله، واطمئنانه لِحُكْمه، وتسليمه لِحِكْمَتِه سبحانه.

ومن هنا فيتوجب على الشّخصية المسلمة أن تدرك أهمية استسلام القلب لله تعالى فيما يقضيه عليها من المصائب، بحيث يتلقاها أولا في قلبه بالرضا والتسليم لحكمة أحكم الحاكمين، وأن يعلم أن ذلك من الإيمان، وأن ذلك دليل الهداية، يقول ابن القيم الهداية هي: "جعل الإيمان

([1]) النووي، محيي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج2، ص 172-173.

([2]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج23، ص 421.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجلمع لأحكام القرآن، ج 18، ص 139-140.

([4]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 867.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في القلب وتحبيبه إليه، وتزيينه في القلب، وجعله مؤثرا له راضيا به راغبا فيه"[1]. وتعد الهداية ثمرة من ثمرات الإيمان، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾(يونس: 9)[2]. وفي هذه العملية التربوية القلبية تنبيه مهم لدور القلب في تلقي المصائب، وأنه الأساس في اتخاذ المواقف الظاهرية التي قد تكون إيجابية وقد تكون سلبية عند حلول المصائب في حياة الشّخصية الإنسانية عموما.

العملية الثامنة: إيمان القلب.

تعد عملية الإيمان من أهم العمليات الأساسية التي يقوم بها القلب، وقد وردت في ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل مقترنة بالقلب، الأولى: قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾(النحل: 106)، والثانية: قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾(المجادلة: 22)، والثالثة: قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ (الحجرات: 14).

والإيمان في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ (النحل: 106) ورد مقترنا بالاطمئنان القلبي، والمعنى المراد من الآية "أي إن من كفر بالله بعد الإيمان والتبصّر

([1]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص 32.

([2]) أحمد، علي بهلول، منهج القرآن الكريم في تحقيق الصحة النفسية دراسة تأصيلية، ص 108.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعليه غضب من الله إلا إذا أكره على ذلك وقلبه ملىء بالإيمان بالله والتصديق برسوله، فلا تثريب عليه كما فعل عمار بن ياسر"[1].

أما في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾(المجادلة: 2) فإن الإيمان ارتبط مباشرة بالقلب، وفي الآية يقصد بكتابة الإيمان: "أَيْ خَلَقَ فِي قُلُوبِهِمُ التَّصْدِيقَ، يَعْنِي مَنْ لَمْ يُوَالِ مَنْ حَادَّ اللَّهَ، وَقِيلَ: كَتَبَ أَثْبَتَ وجَعَلَ وجَمَعَ، وَخَصَّ الْقُلُوبَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا مَوْضِعُ الإيمَانِ"[2].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾(الحجرات: 14)، فإن في الآية دلالة على أن القلب محلّ العمليات التربوية كما سيتبين من تفسيرها.

قال ابن عاشور في تفسيره الآية: "وَهُمْ قَالُوا آمَنَّا حِينَ كَانُوا فِي شَكٍّ لَمْ يَتَمَكَّنِ الإيمَانُ مِنْهُمْ فَأَنْبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الإيمَانَ هُوَ التَّصْدِيقُ بِالْقَلْبِ لا بِمُجَرَّدِ اللِّسَانِ لِقَصْدِ أَن يخلصوا إِيمَانهم وَيَتَمَكَّنُوا مِنْهُ"[3]. وقيل أيضا في الآية: "أي: لم تصدق قلوبكم؛ لأنكم لو أمنتم لم تمنوا بإيمانكم؛ لأن الإيمان التصديق بجميع ما لله من الكمال الذي منه أنه لولا منه بالهداية لم يحصل الإيمان"[4]. وقيل: "لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم"[5]، "فالقلب متى تذوق حلاوة

([1]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج14، ص 146.

([2]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 17، ص 308.

([3]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج26، ص 264.

([4]) البقاعي، أبو بكر إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ج18، ص 385-386.

([5]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 802.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لا بد من دفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب، في واقع الحياة، في دنيا الناس، يريد أن يوحد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الإيمان، وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة"[1].

وفي الآية إشارة إلى أن الإيمان إن لم يتمكن في القلب لم يكن إيمانا خالصا، فقصد القلب من الإيمان هو ما يحدد صحته؛ لأن ليس كل ما قيل باللسان وافق القلب، وبما أن صحة الإيمان تعتمد على سلامة القلب في قصده؛ فهذا يدل على أن القلب هو عماد العمليات التربوية ومحلها.

كما ورد ذكر إيمان القلب في السنة النبوية في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، **وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**)[2].

واستنادا إلى ما تقدَّم فإنه يمكن **تعريف عملية إيمان القلب** بأنها: تصديق القلب الخالص، وتسليمه ويقينه بوحدانية الله وربوبيته وألوهيته وصفاته، بما يورث النفس السكينة والتوجّه لله تبارك وتعالى، ويورث الجوارح الاستقامة على السّلوك السّوي.

وفي العقيدة والتربية الإسلامية فإنّ "مقر الإيمان هو القلب، وقوته هي الباعث على طاعة الجوارح"[3]، وإيمان القلب هو تصديق وإقرار وحب وانقياد، وهو قول القلب وعمله، وإيمان القلب الصادق هذا تصدقه الجوارح وتعمل بمقتضاه وتدل عليه؛ لأن ما في القلب هو الأصل لما تقوم به الجوارح[4]، وعلى قدر قوته في قلب الإنسان يتأثر به صاحبه[5]. ومن هنا يجب على

([1]) قطب، سيد إبراهيم، في ظلال القرآن، ج6، ص 3349.

([2]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ج8، ص104، ح رقم: 6497.

([3]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوى، ج7، ص 198، 204.

([4])ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوى، ص 644.

([5]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ج3، ص 265.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشّخصية المسلمة أن تحرص على تحقيق الإيمان القلبي الذي تكتمل فيه المعرفة الصحيحة بالله تعالى وصفاته[1]، وهذا الإيمان القلبي هو الذي يحقق لها السكينة والأمن النفسي ويحررها من الخوف والقلق ويمدّها بالرجاء والثقة والرضا[2]، وهو الذي يستطيع أن يغير سمات الشّخصية وسلوكها ويجعلها إسلامية حقيقية[3].

العملية التاسعة: تزيين القلب.

وردت علمية تزيين القلب في موضعين من كتاب الله عز وجل، الموضع الأول: كانت فيه إحدى العمليات الإيجابية التي يقوم بها القلب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾(الحجرات: 7)، أما الموضع الثاني: فكانت من العمليات التي تنتج عن انحراف القلب بسبب تأثره بعوامل عدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴾(الفتح: 12).

ولتجنب تكرار عملية تزيين القلب فإن الباحثة ستقوم ببيان مقصود العملية الواردة في الآيتين معا، ثم توضيح الفرق بين عمل القلب في الآية الأولى وعمله في الآية الثانية، وذلك استنادا إلى أقوال أهل التفسير في الآيتين.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾(الحجرات: 7)، يقصد بتزيين القلب: تحسين الإيمان في قلوب

([1]) عبدالعال، محمد عبدالمجيد، السلوك الإنساني في الإسلام، ص 75.

([2]) الشربيني، زكريا أحمد، والفقي، إسماعيل محمد، ومنصور، عبدالمجيد سيد، السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وعلم النفس المعاصر، ص 396-397، ونجاتي، محمد عثمان، الحديث النبوي وعلم النفس، ص 280.

([3]) التركي، ناصر بن عبدالله، الشّخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ص 253.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤمنين بتوفيق الله تعالى إلى ذلك[1]، وبما أودعه الله في القلوب من محبة الحق وإيثاره، وقبول القلوب والفِطَر له، وتوفيقه للإنابة إليه[2]، وبيَّن الراغب أن التزيين الوارد في الآية من الزينة النفسية[3].

ومما تقدَّم يتضح أن **المقصود بعملية تزيين القلب** بمعناها الإيجابي: تحسين القلب للأمر وقبوله له، لما فيه من خير للإنسان وتوفيق له، وهو واقع للقلب بإرادة من الله.

أما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾(الفتح: 12)، فقد بيَّن ابن عاشور أن التزيين هو التحسين، وأن ما وقع من القلب من تحسين سلبي إنما وقع لأن ذلك يوافق الهوى والرغبة، فقال في ذلك: "وَالتَّزْيِينُ: التَّحْسِينُ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ قَبُولِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا جُعِلَ ذَلِكَ الظَّنُّ مُزَيَّنًا فِي اعْتِقَادِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يَفْرِضُوا غَيْرَهُ مِنْ الاحْتِمَالِ، وَهُوَ أَنْ يرجع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَالِمًا. وَهَكَذَا شَأْنُ الْعُقُولِ الْوَاهِيَةِ وَالنُّفُوسِ الْهَاوِيَةِ أَنْ لا تَأْخُذَ مِنَ الصُّوَرِ الَّتِي تَتَصَوَّرُ بِهَا الْحَوَادِثُ إِلا الصُّورَةَ الَّتِي تَلُوحُ لَهَا فِي بادىء الرَّأْيِ. وَإِنَّمَا تَلُوحُ لَهَا أَوَّلَ شَيْءٍ لِأَنَّهَا الصُّورَةُ الْمَحْبُوبَةُ ثُمَّ يَعْتَرِيهَا التَّزْيِينُ فِي الْعَقْلِ فَتَلْهُو عَنْ فَرْضِ غَيْرِهَا فلا تَسْتَعِدُّ لِحِدْثَانِهِ"[4].

ومما تقدم يتضح أن القلب إذا ما تعرض لعوامل سلبية قد يتعرض لانحراف عن مساره في العمل السليم، فيقوم بعمليات سلبية ناتجة عن الانحراف الذي وقع عليه، وهذا ما سيتم مناقشته في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

([1]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص 314.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 800.

([3]) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 285.

([4]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج26، ص 164.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبإمعان النظر في الآيتين فإن تزيين القلب في الآية الأولى ارتبط بالإيمان، أما في الآية الثانية فقد ارتبط بسوء الظن وعدم توقع عودة النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه سالمين بعد خروجهم لمكة بقصد العمرة، وفي هذا دليل على أن ما يحكم طبيعة عمل القلب قصده من العمل، وتأثره بما يحيط به من عوامل ومؤثرات، فالعملية وردت في القرآن بذات المسمَّى منسوبة إلى القلب مع اختلاف دلالتها في السياق، وهذا دليل قوي على قدرات القلب الكبيرة في القيام بعمليات إيجابية وسلبية من ذات النوع.

العملية العاشرة: تَشَرُّب القلب للأفكار.

وردت هذه العملية في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(البقرة: 93)، وإن الناظر في الآية يجد أن ما دلت عليه آيات عملية التزيين ينطبق على عملية تشرب القلب للأفكار، أي أن ما يحكم طبيعة العملية في صحتها أو فسادها هو القصد من قيام القلب بها، إذ أنه قد يتشرب أفكارا صحيحة أو سقيمة حسب قصده من العمل.

وبيَّن أهل التفسير أن تشرب القلب في الآية: أي الشد في القلب لحب الشيء والشغف به[1]، وإن في ذكر العجل تنبيها أن لفرط شغفهم به صارت صورة العجل في قلوبهم لا تنمحي[2]. وقال ابن عاشور: "الإِشْرَابُ هُوَ جَعْلُ الشَّيْءِ شَارِبًا، وَاسْتُعِيرَ لِجَعْلِ الشَّيْءِ مُتَّصِلاً بِشَيْءٍ وَدَاخِلًا فِيهِ وَوَجْهُ الشَّبَهِ هُوَ شِدَّةُ الاتِّصَالِ وَالسَّرَيَانِ"[3].

([1]) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج1، ص 495.

([2]) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 334.

([3]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج1، ص 611.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنه يتبين أن **معنى عملية تشرب القلب للفكرة** يعني شدة تعلقه بها واقتناعه بصحتها، وقيامه بالفعل اعتماداً عليها.

ومن هنا يجب أن يحرص المسلم على تكوين قناعة قلبية كاملة وقوية حول الشريعة وأحكامها وسلامتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان وذلك من خلال اجتهاده وبذله الوسع لتعلم كل ما سبق، وأن يتشرب قلبه هذه القناعة لتكون بمثابة عقيدة عنده، وأن يحذر كل الحذر من أن يتشرب قلبه الأفكار الفاسدة والبدع الضلالات بحيث تكون عنده أشبه بالعقائد كما هو موجود في شخصية أصحاب الفرق الضالة والمذاهب الفاسدة.

العملية الحادية عشرة: تطهير القلب وتنقيته (تزكية القلب).

اقترنت عملية التطهُّر والتزكية بالقلب في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾(الأحزاب: 53).

وقد فسَّر ابن عاشور التطهر والتزكية في الآية بأنها التقوى وتعظيم حرمات الله تعالى، وإكساب القلب مراتب من الحفظ الإلهي من الخواطر الشيطانية بقطع أسبابها[1]، كما اعتبرها السعدي بمعنى البعد عن الريبة وترك الأسباب الداعية إلى الشر لضمان سلامة القلب[2]. وقال القرطبي: "في قوله تعالى (ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) يُرِيدُ مِنَ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَعْرِضُ لِلرِّجَالِ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ، وَلِلنِّسَاءِ فِي أَمْرِ الرِّجَالِ، أَيْ ذَلِكَ أَنْفَى لِلرِّيبَةِ وَأَبْعَدُ لِلتُّهْمَةِ وَأَقْوَى فِي الْحِمَايَةِ"[3].

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج22، ص 91.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 670.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص 228.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما وردت عملية تنقية القلب في السنة النبوية المطهرة، وذلك في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(وَنَقِّ قَلْبِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ)**[1]، وكما هو مُلاحظ في الحديث الشريف أنّ عملية التنقية تقوم بتطهير القلب مما علق به من خطايا وذنوب، ورجوعه عن الزلل.

ومما تقدم يظهر أن **المراد بعملية تطهير القلب وتنقيته:** هو التزام القلب للتقوى واجتناب مواطن الريبة والابتعاد عن أسباب الزلل والخطأ، وإزالة ما يعلق بالقلب من خطايا بالتوبة والاستغفار.

العملية الثانية عشرة: تعمّد القلب وكسبه (قصد القلب ونيّته).

اقترن بالقلب لفظتان مختلفتان في المسمى متشابهتان في المعنى، وكلاهما يدل على ذات العملية التي يقوم بها القلب وهي نية القلب وقصده، واللفظتان هما الكسب والتعمد.

وقد وردت لفظة الكسب في قوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ ﴾(البقرة: 225)، أما لفظة التعمد فوردت في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ ﴾ (الأحزاب: 5)، وفي الآيتين دلالة قوية على أن القلب هو محلّ العمليات التربوية كما سيظهر ذلك بعد تفسيرهما.

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم، ج8، ص79، ح رقم: 6368.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمراد بالكسب في قوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ ﴾(البقرة: 225)، هو تعمد القلب الذي فيه المؤاخذة[1]، وقصده في القول[2]، وعقده عليه وهو كقوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾(المائدة: 89)[3].

أما لفظة التعمّد في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ ﴾ (الأحزاب: 5) فمعناه ما قصدته وأرادته عقائدكم[4]، وإن الإثم والحساب يكون على ما يفعله الإنسان عامدا فعله[5].

ومما تقدَّم يتبين أن المفسرين من أهل العلم فسَّروا الكسب بالتعمد، والتعمد بالكسب، وأن كلاهما يعني قصد القلب وإرادته من الشيء، وكما هو معلوم فإن القصد والإرادة إنما هي النية، قال ابن تيمية: "والنية هي القصد والإرادة، والقصد والإرادة محلهما القلب دون اللسان باتفاق العقلاء"[6]، وتعتبر النية عملية قلبية كما قال ابن القيم: "والنية هي عمل القلب"[7].

وبما أن النية هي عملية قلبية، وأن كسب القلب وتعمده للشيء هو ما يؤاخذ ويحاسب عليه الإنسان، فإن في الآيتين دلالة على أن القلب هو محل العمليات التربوية.

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج2، ص 383.
([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 101.
([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص 102.
([4]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج21، ص 264.
([5]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج21، ص 129.
([6]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، الفتاوى الكبرى، ج2، 98.
([7]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، ج3، 192.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد دلت السنة النبوية على أهمية النية، ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)**[1]، وبين ابن حجر: "أن محل النية القلب، وأنّ الأعمال تتبع النية[2]، وأن النية هي عمل القلب[3]. وعليه، فلا بد للشخصية الإسلامية من تصحيح توجهاتها بالأعمال التي تقوم بها، فأساس صلاحها يقوم على مدى صحة توجه القلب ونيته، "فكل عمل لا نية لله منه أو من ورائه قصد غير الإخلاص لله وطلب رضاه وثوابه، هو عمل لا جدوى من ورائه عند الله ولا أثر له في إحداث سلوك إيجابي في شخصية المسلم"[4].

ويتبيَّن مما تقدَّم "أن للقلب دورا أساسيا في توجيه السّلوك الإنساني وفي التحكم بالذات الإنسانية، وبما تقوم به هذه الذات من عمليات في الإدراك والتفكير والانفعال والاتجاهات والعواطف، ويتضح دور القلب في توجيه السّلوك من خلال قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾(البقرة: 225)"[5].

العملية الثالثة عشرة: تقوى القلب.

تعد عملية التقوى من أبرز العمليات التي يقوم بها القلب بعد النية والإيمان، وبالرغم من أنها وردت في كثير من آيات القرآن الكريم؛ إلا أنها اقترنت بالقلب مرة واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾(الحج: 32).

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان، ج8، 140، حديث رقم: 6689.

([2]) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص13.

([3]) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص13.

([4]) القيسي، مروان إبراهيم، الدافعية النفسية في العقيدة الإسلامية، مجلة جامعة الملك سعود، ص 96.

([5]) السرخي، إبراهيم محمد، السلوك وبناء الشّخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي، ص173.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمراد من تقوى القلب في الآية السابقة أي: التعظيم، حيث إن إضافة التقوى للقلوب جاءت لأن التعظيم اعتقاد قلبي ينشأ عنه عمل[1]، كما إن إضافة التقوى للقلوب في الآية يدل على أن حقيقتها في القلب[2]، وأن تعظيم الشعائر يبرهن على صحة الإيمان؛ لأن التعظيم إنما هو ناتج عن تعظيم الله وإجلاله[3]، والقلب هو محلّ نظر الله، ومحلُّ قياس التعظيم لشعائر الله[4]. وقال الطبري في معنى: (فإنَّها مِنْ تَقْوَى القُلُوب)، أي: "فإنها من وَجَلِ القلوب من خشية الله، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده"[5].

كما وردت عملية تقوى القلب في السنة النبوية في الحديث القدسي الذي جاء فيه قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: **(يا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى شَيْئًا)**[6].

وعليه، فالمقصود **بعملية تقوى القلوب:** توقير القلب لله تعالى وقوة استشعاره لخشية الله تعالى ومعرفته بحقيقة توحيده.

وهي عملية لها تأثيرها الظاهر في سلوك الشّخصية المسلمة من حيث تعظيمها لما يعظمه الشرع من الأحكام الشرعية والشعائر والمشاعر التعبدية. فتجد صاحب هذه الشّخصية

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج17، ص 257.

([2]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص 56.

([3]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 538.

([4]) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، ج16، ص9810.

([5]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج18، ص 623.

([6]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج4، ص 1994، ح ح رقم: 2577.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي تتصف بتقوى القلب، يجل أحكام الحلال والحرام، ولا يعارضها برأيه، ويحترم شعائر الإسلام ولا يستهين بها، ويعطي للأماكن التعبدية قدرها فلا يستخف بحرمتها.

وعملية تقوى القلب تجعل المسلم ذا شخصية يتحكم في دوافعه وانفعالاته وميوله وأهوائه[1]، ويلتزم في أعماله الحق والعدل والأمانة، فيؤدي ما يوكل إليه من أعمال على أحسن وجه؛ لأنه يتوجّه بها إلى الله تعالى ابتغاء مرضاته وثوابه[2]. ويستشعر مراقبته له واطلاعه عليه في السرّ والعَلَن.

العملية الرابعة عشرة: تلقي المعارف (الوحي).

جاء في كتاب الله العزيز أن القلب هو المتلقي الأوّل للوحي وما فيه من معارف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(البقرة: 97)، وفي قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾(الشعراء: 193-194).

وفي الآية: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(البقرة: 97) دليل على أنّ القلب محلّ الفهم والحفظ[3].

وقد تقدَّم في تمهيد هذا المبحث تفسير هذه العملية عندما تمّ بحث كون القلب محلّ العمليات التربوية، حيث تبيَّن أن معنى **عملية تلقي القلب للمعارف والوحي:** هو أن يَعِيَها القلب ويفهمها، ويثبتها؛ لأنه الجزء المدرك من الحواس الباطنة[4].

([1]) نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، ص 253.

([2]) نجاتي، محمد عثمان، الحديث النبوي وعلم النفس، ص 282.

([3])) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج1، ص 622.

([4]) ينظر صفحة المدخل من هذه الفصل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العملية الخامسة عشرة: حبّ القلب(أمنيات القلب).

وردت عملية حب القلب في السنة النبوية، ولم يرد ذكرها صراحة في آيات القلب الواردة في القرآن الكريم، وقد جاءت في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ)**[1]، وفي رواية أخرى: **(قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ حُبِّ الْعَيْشِ وَالْمَالِ)**[2].

جاء في فتح الباري: "المراد بالأمل هنا محبة طول العمر، وسماه شابا إشارة إلى قوة استحكام حبه للمال. ومعناه: أنّ قلب الشيخ كامل الحب للمال متحكم في ذلك كاحتكام قوة الشاب في شبابه؛ وذلك أن الشيخ من شأنه أن تكون آماله وحرصه على الدنيا قد بليت على بلاء جسمه إذا انقضى عمره ولم يبق له إلا انتظار الموت، فلما كان الأمر بضده ذم. والتعبير بالشاب إشارة إلى كثرة الحرص وبعد الأمل الذي هو في الشباب أكثر وبهم أليق لكثرة الرجاء عادة عندهم في طول أعمارهم ودوام استمتاعهم ولذاتهم في الدنيا"[3].

وذكر ابن حجر فائدة مهمة في هذه الحديث وهي قوله: "واستدل به على أن الإرادة في القلب خلافا لمن قال إنها في الرأس"[4].

ومنه يمكن القول أن **عملية حب القلب(أمنياته) تعني:** تعلُّق القلب بأمر ما وتمنّيه له ورغبته فيه، وهي تقارب في معناها عملية تعلق القلب والتي سيأتي ذكرها لاحقاً.

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة أعذر الله إليه في العمر، ج8، ص89، ح رقم: 6420.

([2]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة أعذر الله إليه في العمر، ج8، ص89، ح رقم: 6420.

([3]) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج11، ص 240-241.

([4]) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج11، ص241.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه العملية القلبية توجيه تربوي مهم لشخصية المسلم، وخاصة بعد دخوله في مرحلة الشيخوخة أن يبتعد عن التنافس المذموم على الدنيا، وأن يحرص على تربية قلبه على التعلق بالآخرة والإقبال عليها، وأن يخلص حب قلبه لله تبارك وتعالى.

العملية السادسة عشرة: حزن القلب.

لم يرد في آيات القلب ما يشير إلى عملية حزن القلب، وقد جاء ذكرها فقط في السنة النبوية في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، ولا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)**[1].

ويمكن القول أن **عملية حزن القلب:** هي ما يعتري القلب من ألم معنوي في حال فات الإنسان عبادة يكسب بها رضا ربه عز وجل، أو ارتكابه معصية لم يعتد فعلها وخالف بها إرادة قلبه، أو وقوع ابتلاء فقد به ما هو عظيم المكانة والشأن.

وترى الباحثة أن عملية حزن القلب تعدُّ من العمليات الإيجابية في مثل هذه المواضع لأنها تتجاوب مع الطبيعة الإنسانية ولا تخالف الشريعة الربانية، والأصل في المؤمن صاحب القلب السليم أن لا يحزن إلا في حال القيام بشيء خالف به منهج الله وشريعته، أو في حال وقوع ابتلاء ومصاب صبر عليه ورضي بقضاء الله عليه، فكان ما أصابه من الحزن هو أمر طبيعي لم يخرج به عن الشرع.

العملية السابعة عشرة: حفظ القلب.

وردت عملية حفظ القلب في السنة النبوية في حديث النبي عليه الصلاة والسلام الوارد عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رسول اللَّهِ جِئْتُ

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إنا بك لمحزونون، ج2، ص 83، ح رقم: 1303.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأهَبَ لَكَ نَفْسِي فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ. فقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا... قالَ: (مَاذَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ؟) قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا عَدَّهَا قَالَ: **(أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ)** قَالَ نَعَمْ قَالَ: **(اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ)**[1].

وقيل: إن سؤال النبي عليه الصلاة والسلام للرجل **(أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ)** إنما هو للتثبت من حفظه غيباً للسور التي عدها أمام النبي صلى الله عليه وسلم[2]، وقيل إن المعنى المراد من القراءة عن ظهر قلب هو أن تكون القراءة من الحفظ لا من النظر، وهو ما يسمى بالاستظهار[3].

ولم تتوصل الباحثة إلى غير ما وصلت إليه من شرح للحديث، وبهذا يمكن القول إن **عملية حفظ القلب**: هي تمكن القلب من تثبيت المعرفة.

واقتران الحفظ بالقلب في الحديث إنما هو دلالة على أن القلب يقوم بعملية حفظ المعلومات والمعارف، وأنها ليست عملية خاصة بالدماغ فقط.

العملية الثامنة عشرة: خشوع القلب.

وردت عملية الخشوع منسوبة للقلب مباشرة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾(الحديد: 16).

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراءة عن ظهر قلب، ج6، ص 192، ح رقم: 5030.

([2]) العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج20، ص 46.

([3]) البرماوي، شمس الدين، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، ج13، ص 132.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومعنى الخشوع في الآية: الاستكانة والتذلل[1]، وقيل هو اللين والانقياد لأوامر الله تعالى[2]، وقيل تخشع قلوبهم أي: " تَلِينَ عِنْدَ الذِّكْرِ وَالْمَوْعِظَةِ وَسَمَاعِ الْقُرْآنِ، فَتَفْهَمَهُ وتنقادُ لَهُ وَتَسْمَعَ لَهُ وَتُطِيعَهُ"[3]. وقال الراغب: "الخشوع الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب"[4].

وقال ابن تيمية عند حديثه عن الآية: "والخشوع يتضمن معنيين: أحدهما: التواضع والذل، والثاني: السكون والطمأنينة، وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة، فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضا"[5].

كما وردت عملية الخشوع في السنة النبوية المطهرة في حديثين من أحاديث الصحيحين:، الأول: في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ)**[6]، حيث جاءت في هذا الحديث بصيغة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعيذه الله من القلب الذي لا يخشع. والثاني: هو قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِى الطُّرُقِ)**[7]، حيث وردت في هذا الحديث بالمعنى الضمني لوصف حال القلب عند الذكر بالصفاء والخشوع، فقد جاء في تحفة الأحوذي برواية الترمذي: "(لَوْ تَدُومُونَ)أَيْ:

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج27، ص 391.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 840.

([3]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص 19.

([4]) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص202-203.

([5])ابن تيمية، أحمد تقي الدين، مجموع الفتاوى، ج7، ص28.

([6]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل، ج4، ص2088، ح رقم: 2722.

([7]) مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا: ج4، ص2107، ح رقم: 2750.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فِي حَالِ غَيْبَتِكُمْ مِنِّي (عَلَى الْحَالِ الَّتِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي)أَيْ: مِنْ صَفَاءِ الْقَلْبِ وَالْخَوْفِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلائِكَةُ قِيلَ أَيْ عَلانِيَةً وَإِلا فَكَوْنُ الْمَلائِكَةِ يُصَافِحُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ حَاصِلٌ . وَقَالَ اِبْنُ حَجَرٍ : أَيْ عِيَانًا فِي سَائِرِ الأَحْوَالِ(فِي مَجَالِسِكُمْ وَعَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُم) (وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً) أَيْ سَاعَةً كَذَا وَسَاعَةً كَذَا يَعْنِي لا يَكُونُ الرَّجُلُ مُنَافِقًا بِأَنْ يَكُونَ فِي وَقْتٍ عَلَى الْحُضُورِ وَفِي وَقْتٍ عَلَى الْفُتُورِ، فَفِي سَاعَةِ الْحُضُورِ تُؤَدُّونَ حُقُوقَ رَبِّكُمْ ، وَفِي سَاعَةِ الْفُتُورِ تَقْضُونَ حُظُوظَ أَنْفُسِكُمْ"[1].

وعليه يمكن **تعريف عملية خشوع القلب** بأنها: صفاء القلب وطمأنينته وسكينته ولينه، المنبثق من إيمان صاحبه بالله وتعظيمه لذكره، وتصديقه بالوحي الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

العملية التاسعة عشرة: خواطر القلب.

وردت عملية خواطر القلب في الحديث القدسي الذي يرويه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربّ العزّة سبحانه: **(قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)**[2].

وقد قامت الباحثة بمحاولة الوصول لمفهوم خواطر القلب الواردة في الحديث من خلال البحث في كتب الشروح، ولم تتوصل إلى شروحات وافية لمعناها باستثناء قول ابن بطال وهو: "لا توهمه قلب بشر"[3]، لذا فإنها ستعرِّف العملية استنادا إلى اجتهادها في فهم النص.

([1])المباركفوري،محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، جـ6، ص306.

([2]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، 118، ج4، ح رقم: 3244.

([3])المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، جـ6، ص306.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعريف عملية خواطر القلب هي: ما يرد على القلب من توهم أو تصور أو تخييل أو حديث نفس أو أفكار عقل حول موضوع معين.

العملية العشرون: خير القلب(غنى القلب).

وردت عملية خير القلب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(الأنفال: 70).

وفسَّر أهل العلم خير القلب في الآية بأنه محبة الإيمان والعزم عليه[1]، وقيل هو الإسلام[2]، وقيل هو الإيمان[3].

كما وردت عملية خير القلب وغناه بصراحة في السنة النبوية في حديث قول عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ فَكَأَنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: **(إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ وَجَزَعَهُمْ وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالْغِنَى مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ)**[4]، وخير القلب وغناه المقصود في الحديث هو الإيمان الحامل على الرضى والصبر[5].

وبما أن أهل العلم من المفسرين فسروا **خير القلب** بالإيمان وإرادته ومحبته، فإن الباحثة تكتفي ببيان هذه الأقوال لهم، لأنها قدمت توضيحا لعملية الإيمان في الصفحات المتقدمة أعلاه، وغاية ذلك تجنب التكرار والإطالة.

([1])ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج10، ص 80.

([2])أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج5، ص 356.

([3])السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، تفسير القرآن، ج2، ص 281.

([4]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الجمعة بعد الثناء: أما بعد، ج2، ص 10، حديث رقم: 923.

([5]) هذا ما علَّق به مصطفى البغا على الحديث. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الجمعة بعد الثناء: أما بعد، ج2، ص 10، حديث رقم: 923.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العملية الواحدة والعشرون: رأفة القلب ورحمته.

ارتبطت عملية الرأفة والرحمة بالقلب في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾(الحديد: 27).

والمقصود بالرأفة والرحمة المنسوبة للقلب في الآية أي: اللين[1]، وقال ابن عاشور: "وَالرَّأْفَةُ: الرَّحْمَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِدَفْعِ الأذَى وَالضُّرِّ فَهِيَ رَحْمَةٌ خَاصَّةٌ، وَتَقَدَّمَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(البقرة: 143)، وَالرَّحْمَةُ: الْعَطْفُ وَالْمُلايَنَةُ"[2].

وقد ورد ذكر عملية رحمة القلب على وجه الخصوص في السنة النبوية في حديثين: الأول: قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بكى لوفاة ابن ابنته: **(هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ)**[3]، وهذه الرحمة التي قالها في وصف البكاء على الميت، وهي حادثة بسبب ما يحصل في القلب من شفقة على الميت وأهله. والثاني: هو ما ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)**[4]، والحديث يدل بوضوح أن الرحمة هي الرأفة والشفقة المتضمنة لحب الأبناء.

([1]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 842.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج27، ص421.

([3]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته، ج2، ص79، ح رقم: 1284

([4])البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج8، ص7، ح رقم:5998.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول ابن حجر: "والرحمة هي رقة على المرحوم"[1]، يقول الراغب: "والرحمة: رقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد من الرقة، نحو: رحم الله فلاناً. وإذا وُصِف به الباري، فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي، أن الرحمة من الله: إنعام وإفضال، ومن الآدميين: رقة وتعطف"[2]. والرحمة: "العطف، والشفقة، والحنان، والمودة، واللين، والرأفة"[3].

وفسر القرطبي معنى الرأفة والرحمة بالمودة، والرأفة باللين والرحمة بالشفقة، ونقل أن الرأفة أشد من الرحمة[4]، وعند ابن القيم: "الرأفة والرحمة هي رقّة تعتري القلب"[5].

ومما تقدّم يتضح أن **عملية رأفة القلب ورحمته** يدور معناها حول: لين القلب وشفقته، وما فيه من مودة وما يحمله من عطف.

وتعد عملية رأفة القلب ورحمته من العمليات القلبية الأساسية التي تميز إنسانية الشّخصية الإنسانية عن حيوانيته وخروجه عن دائرة بني آدم. ولذلك جاء في الحديث المتقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم للشخص الذي ظهر منه سلوك قاسٍ وصعبٍ تجاه أطفاله، يتمثل فقط بعدم تقبيلهم أن قال له: (أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)، فوصفه بأن شخص قد نُزعت الرحمة من قلبه، فكيف إذا تجاوزت ممارسات الشخص هذا الحد إلى مستوى من الضرب والإيذاء والظلم والعدوان والقتل والظلم والقساوة المفرطة على الأهل والبنات والعمال والتلاميذ وغير ذلك، فلا شك أن مثل هذه الشّخصية تكون قد خرجت عن دائرة الإنسانية. ومن هنا

([1]) ابن حجر، فتح الباري، جـ13، ص385.

([2]) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 391-392.

([3]) مكروم، عبد الودود، الأصول التربوية لبناء الشّخصية، ص 272.

([4]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج17، 262.

([5]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص 399.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتوجب على الشّخصية المسلمة أن تحرص على رعاية قلبها بالرحمة وتلطيفه بالرأفة والشفقة وتربيته على المودة.

العملية الثانية والعشرون: رَبْط القلب (صبر القلب).

جاءت عملية الربط منسوبة للقلب في ثلاث آيات من كتاب الله الكريم، الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾(الأنفال:11)، والثانية: قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾(الكهف: 14)، والثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(القصص:10)، ويظهر في الآيات الثلاث أن عملية الربط اقترنت مباشرة بالقلب.

وقد بيَّن أهل التفسير أن عملية الربط تعني التثبيت والتصبير، ففي الآية الأولى قال ابن عاشور: "و(الرَّبْط) حَقِيقَتُهُ شَدُّ الْوَثَاقِ عَلَى الشَّيْءِ وَهُوَ مَجَازٌ فِي التَّثْبِيتِ وَإِزَالَةِ الاضْطِرَابِ"[1]، وبيَّن السعدي أن معنى قوله: (وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ) أي " يثبتها فإن ثبات القلب أصل ثبات البدن"[2].

أما في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾(الكهف: 14)، فقد بيَّن صاحب البحر المحيط أن معنى الربط

([1])ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج9، ص 280.

([2])السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 316.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو التثبيت والصبر، فقال: "وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ ثَبَّتْنَاهَا وَقَوَّيْنَاهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى هِجْرَةِ الْوَطَنِ وَالنَّعِيمِ وَالْفِرَارِ بِالدِّينِ إِلَى غَارٍ فِي مَكَانٍ قَفْرٍ لا أَنِيسَ بِهِ ولا مَاءَ وَلا طَعَامَ"[1].

كما أن الربط في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(القصص:10) يقصد به الصبر ، قال القرطبي: "وَالرَّبْطُ عَلَى الْقَلْبِ: إِلْهَامُ الصَّبْرِ"[2]، وقد وافقه في رأيه جمع من علماء التفسير منهم ابن كثير[3]، وابن عاشور[4]، والسعدي[5]، والسمعاني[6].

وقد بيَّن ابن القيم أن الربط على القلب هو الشد عليه، والشد المقترن بالربط يستلزم الصبر وحبس القلب عن الاضطراب، فقال في ذلك: " ومعنى الربط في اللغة الشد ولهذا يقال لكل من صبر على أمر ربط قلبه كأنه حبس قلبه عن الاضطراب ومنه يقال هو رابط الجأش، والمقصود أنّ هذا الربط يكون معه الصبر أشد وأثبت"[7].

واستناداً لأقوال أهل العلم من المفسرين فإن الباحثة ارتأت أن الربط عملية تربوية للقلب، وليست سِمة له كما يُعتقد عند النظر الأولي في الآيات.

ويمكن تعريف **عملية ربط القلب** بأنها ثبات القلب وصبره على أمر ما فيه شدة وبأس على النفس.

([1])أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج7، ص 148.

([2])القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 256.

([3])ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص 223.

([4])ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج20، ص 80.

([5])السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 612.

([6])السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، تفسير القرآن، ج4، ص 125.

([7])ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، ص 190.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العملية الثالثة والعشرون: رقّة القلب.

وردت عملية رقّة القلب في حديث النبي عليه الصلاة والسلام الوارد عنه في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِى قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...)**[1].

وقيل أن رقيق القلب هو من يعرف بأنه كثير الخشية سريع البكاء[2]، وقد بيَّن الحديث أن من يوصف برقّة القلب هو من أهل الجنة، وقد يكون سبب ذلك هو بكاءه من خشيته لله عز وجل.

وبهذا يتبين أن **عملية رقّة القلب** لا تعني الرأفة والرحمة بالآخر فقط، بل هي تحمل معاني الخوف والخشية من الله عز وجل.

العملية الرابعة والعشرون: صلاح القلب.

وردت عملية صلاح القلب في أهم الأحاديث التي جاء فيها ذكر القلب، وهو قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ)**[3]، وهذا الحديث يعدُّ أصلا في الاستدلال على أن القلب القلب هو محل العمليات التربوية، وأن عليه يقوم عمادها وقوامها.

وقد بيَّن النووي أن القلب هو أساس صلاح البدن رغم أنه يقارب في حجمه حجم المضغة فقط، وقال في ذلك: "وَالْمُضْغَة: الْقِطْعَة مِنْ اللَّحْم، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنَّهَا تُمْضَغ فِي الْفَم

([1]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج4، ص2197، ح رقم: 23865.

([2]) أبو الفضل، القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج2، ص 320.

([3]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه، ج1، ص 20، حديث رقم: 52.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لِصِغَرِهَا، قَالُوا: الْمُرَاد تَصْغِير الْقَلْب بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَاقِي الْجَسَد، مَعَ أَنَّ صَلاح الْجَسَد وَفَسَاده تَابِعَانِ لِلْقَلْبِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيث: تَأْكِيد عَلَى السَّعْي فِي صَلاح الْقَلْب وَحِمَايَته مِنْ الْفَسَاد"[1].

وقيل في شرح هذا الحديث أن القلب هو الملك، وهو يأمر فيطاع، إذ أن الجوارح تطيعه ولا بد، فإذا صلح القلب فلا بد أن يصلح الجسد، وإذا فسد القلب فلا بد أن يفسد الجسد[2]، كما أن صلاح القلب يعني سلامته من الشرك وموالاة أعداء الإسلام، وتركه للغل والحقد والحسد، وغيرها من الأمراض التي قد تصيب القلب، مع المحافظة على طهارته ونقائه[3].

وعليه، فإنّه يمكن القول إن عملية صلاح القلب تعدُّ من أهم العمليات التي يقوم بها القلب، وذلك لأن صلاح القلب يقود إلى عمليات أخرى عديدة، كالإيمان والتقوى والمحبة، كما يؤدي إلى البعد عن الكره والغلّ وغيرها من الانحرافات التي قد يقوم بها القلب في حال فساده.

العملية الخامسة والعشرون: عَقْل القلب (التعقّل).

نُسبت عملية التعقل للقلب كإحدى أبرز عملياته المعرفية في موضع واحد في القرآن الكريم، وهو في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(الحج: 46)، والمراد بعقل القلب في الآية أي تأمل مواقع العبرة في الأمم السابقة[4]، كما قُصد بها التفكر والاعتبار من حالهم بعلم ما جرى لهم، فيكون ذلك سبباً لإنابتهم ورجوعهم للإيمان[5]، كما أن إسناد العقل للقلب يدل على أنه محله

([1]) النووي، محيي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج11، ص 28.

([2]) ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح الأربعين النووية، ص 105.

([3]) ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، ج3، ص 491.

([4])السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص540.

([5]) المراغي،أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج17، ص123.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مع عدم إنكار اتصال القلب بالدماغ[1]، وهذا ما تمت الإشارة إليه عند بيان علاقة القلب بالعقل.

وقال الماوردي: إن الآية فيها أمران: أولهما أن العقل علم وأن محله القلب، والثاني أن وظيفة العقل هو العلم والاعتبار[2].

وتعد عملية التعقل من العمليات الإدراكية التي يقوم بها القلب، حيث إن القلب يستقبل منبهات الحواس حين يسير الإنسان في الأرض، ويقوم بمحاولة إدراك هذه المنبهات وتعقلها لمعرفة دلالاتها ومقصوداتها[3].

وقد بيَّن الكيلاني أن "الإشارة التي وردت في القرآن الكريم إلى القدرات العقلية إنما جاءت بصيغة– الفعل وليس الاسم– وباعتبارها وظيفة من وظائف القلب، وفعل من أفعاله التي تجري داخل الإنسان قبل أن تتحول إلى ممارسات حسية على أعضائه الخارجية، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ ﴾(الحج: 46)"[4].

واستناداً إلى ما تقدَّم يتضح أن **عملية عقل القلب** هي عملية قلبية أساسية، يقوم بها القلب لإدراك أمر ما بقصد الاعتبار الناتج من تأمل الشيء وإدراكه.

يقول ابن عاشور: "وَهَذَا شَأْنُ الأَسْفَارِ أَنْ تُفِيدَ الْمُسَافِرَ مَا لا تُفِيدُهُ الإِقَامَةُ فِي الأَوْطَانِ مِنِ اطِّلاعٍ عَلَى أَحْوَالِ الأَقْوَامِ وَخَصَائِصِ الْبُلْدَانِ وَاخْتِلافِ الْعَادَاتِ، فَهِيَ تُفِيدُ كُلَّ ذِي هِمَّةٍ فِي شَيْءٍ فَوَائِدَ تَزِيدُ هِمَّتَهُ نَفَاذًا فِيمَا تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ فَوَائِدُ الْعِبْرَة بِأَسْبَاب النجاح وَالْخَسَارَةِ"[5].

([1])أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج7،ص 521.

([2])الماوردي، أبو الحسن محمد بن علي، أدب الدنيا والدين،ص 20.

([3])عبد العال، حسن إبراهيم، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية التربية والطبيعة الإنسانية، ص 199.

([4])الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، ص58.

([5]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج17، ص 288.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولذلك لا بد لشخصية المسلم من الحرص على السير في الأرض والسفر في أماكنها بقصد اعتبار القلب مما خلقه الله تعالى وما جرى للأمم السابقة، وفي ذلك تربية قلبية من شأنها تحقيق استقامة الشّخصية والارتقاء بتفكيرها وتطوير مهاراتها الفكرية.

العملية السادسة والعشرون: فِقه القلب.

وردت عملية فقه القلب بصيغة النفي، أي أن الآيات حينما تحدثت عن الأقوام في سياقات النصوص نَفَتْ عن قلوبهم عملية الفقه، وجاء ذلك في أربع آيات كريمة: الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾(الأنعام: 25)، والثانية: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾(الأعراف: 179)، والثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾(الإسراء: 46)، والأخير في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾(الكهف: 57).

وبما أن الآيات أثبتت عدم الفقه القلبي عند من لديه ما يمنعه منها، فإنه يُفهم من ذلك أن عملية فقه القلب هي الأساس والأصل، ونقيضها هو ما جاء على النفي، كما هو وارد في الآيات.

وقد بيّن أهل التفسير معنى الآيات الواردة، فالآية الأولى الواردة في سورة الأنعام تعني أن الله جعل على القلوب غطاءاً يمنع أصحابها من التعقل والإدراك ذلك أن المقصود بالأكّنة فيها أي الغطاء الذي يكُّن الشيء ويستره[1]. والآية الثانية الواردة في سورة الأعراف فمُرادها هو أن المقصودين في الآية "(لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا) أي: لا يصل إليها فقه ولا علم، إلا مجرد

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج7، ص 179.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قيام الحجة"[1]. والآية الثالثة الواردة في الإسراء قد أشارت لنفس المعاني المتقدمة، قال ابن كثير: "وَقَوْلُهُ: (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً): جَمْعُ "كِنَانٍ"، الَّذِي يَغْشَى الْقَلْبَ (أَنْ يَفْقَهُوهُ) أَيْ: لِئَلا يَفْهَمُوا الْقُرْآنَ"[2]. وكذلك جرى الأمر في تفسير الآية الرابعة الواردة في سورة الكهف، حيث قال المراغي: "(إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ) أي إن ذلك الإعراض منهم بسبب أن جعلنا على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوا ما ذكّروا به"[3].

ومما تقدَّم يتبين أن **عملية فقه القلب تعني:** إدراك القلب وفهمه للشيء. وهي بهذا تقارب في المعنى عملية تعقل القلب، فكلاهما عمليات قلبية إدراكية، إلا أن الفقه غايته تكون للفهم أقرب، بينما التعقل غايته أقرب للاعتبار والتأمل.

العملية السابعة والعشرون: لين القلب.

جاءت عملية لين القلب في القرآن الكريم في آية واحدة هي قول الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾(الزمر: 23).

ويقصد باللين في الآية الرقّة والطمأنينة والسكون[4]، أي أن قلوبهم تكون مطمئنة راجية[5]، قد تقدَّم شرح هذه المعاني عند بيان عملية خشوع القلب.

([1])السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص309.

([2])ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص 82.

([3])المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج15، ص 168.

([4])القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج15، 250.

([5])أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج9، 196.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما وردت عملية لين القلب في السنة النبوية في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ)**[1]، وقيل أن المراد بلين القلب في الحديث هو "سرعة خلوص الإيمان في القلب"[2].

كما أن الحديث برواية أخرى هي قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً الْفِقْهُ، يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ)**[3]، وقد بيَّن السيوطي أنّ القلب هو الفؤاد، وأنه بتكريره اللفظ مرتين أعطى وصفين للقلب، حيث أن معنى اللين والضعف هو الخشية والاستكانة وسرعة الاستجابة، وقال عن ذلك: " الْفُؤَاد هُوَ الْقلب فكرره بلفظين وَوَصفه بوصفين الرقّة والضعف، وَالْمعْنَى أَنَّهَا ذَات خشيَة واستكانة سريعة الاستجابة والتأثر بقوارع التَّذْكِير سَالِمَة من الشدَّة وَالْقَسْوَة والغلظة"[4].

وعلى ذلك فإنه يمكن القول **عملية لين القلب** هي عملية قلبية تدور حول معاني الإيمان والطمأنينة والسكينة والخشوع، والاستجابة عند النصح والتوجيه من الآخر.

العملية الثامنة والعشرون: نور القلب .

وردت عملية نور القلب فقط في السنة النبوية دون القرآن، وذلك في قول النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي** بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا**)**[5].

([1]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ج1، 73،ح رقم: 52.

([2]) العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج15، ص 192.

([3]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ج1، ص 72، ح رقم: 52.

([4]) السيوطي، جلال الدين، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ج1، ص70.

([5])البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه الليل، ج8، ص 69، ح ح رقم: 6316.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيل أن المقصود بالنور الذي ورد في الحديث هو بيان الحق وضياؤه، والهداية إليه[1]، وقيل: "هو ما يتبين به الشيء ويظهر، والتنوين للتعظيم أي نوراً عظيماً، وقدم القلب؛ لأنه المضغة التي إذا صلحت صلح سائر البدن، وإذا فسدت فسد سائر البدن؛ ولأن القلب إذا نوّر فاض نوره على البدن جميعاً، ومن لازم تنوير هذه الأعضاء حلول الهداية؛ لأن النور يقشع ظلمات الذنوب، ويرفع سدفات(ظلام) الآثام"[2].

ومما تقدَّم يمكن القول أن **عملية نور القلب:** هي بصيرة في القلب بها يعرف الحق ويُتّبع، وتلتزم الهداية.

العملية التاسعة والعشرون: وجل القلب.

وردت عملية الوجل مقترنة بالقلب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(الأنفال: 2)، وفي قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الحج: 35)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾(المؤمنون: 60).

ويقصد بالوجل الوارد في الآيات يأتي بمعنى الخوف من الله، ففي تفسير آية الأنفال قال ابن عاشور: "وَالْوَجَلُ خَوْفٌ مَعَ فَزَعٍ فَيَكُونُ لِاسْتِعْظَامِ الْمَوْجُولِ مِنْهُ، وَأُسْنِدَ الْوَجَلُ إِلَى الْقُلُوبِ لِأَنَّ الْقَلْبَ يَكْثُرُ إِطْلَاقُهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى إِحْسَاسِ الْإِنسان وَقَرَارَةِ إِدْرَاكِهِ، وَالْوَجَلُ حَالَيْن يَحْصُلَانِ لِلْمُؤْمِنِ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْحَالُ الآخَرُ هُوَ الأَمَلُ وَالطَّمَعُ فِي الثَّوَابِ"[3].

([1])العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، شرح سنن أبي داوود، ج5، ص 258.

([2])المباركفوري، عبيد الله بن محمد، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج4، ص 176.

([3])ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج9، ص256.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في آية الحج فقال القرطبي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أَيْ خَافَتْ وَحَذِرَتْ مُخَالَفَتَهُ. فَوَصَفَهُمْ بِالْخَوْفِ وَالْوَجَلِ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَذَلِكَ لِقُوَّةِ يَقِينِهِمْ وَمُرَاعَاتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَكَأَنَّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ"[1].

كما أن الوجل في آية المؤمنون لا يختلف في معناه عما هو متقدم، حيث بيَّن السعدي أن معناه هو الخوف من الله ولقائه، فقال: "(قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أي: خائفة (أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) أي: خائفة عند عرض أعمالها عليه، والوقوف بين يديه، أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله، لعلمهم بربهم، وما يستحقه من أصناف العبادات"[2].

وعرَّف ابن القيم الوجل بقوله أنه: "رجفان القلب وانصداعه لذكر من يُخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته"[3]، وهو الخوف من الله المقرون بهيبة ومحبة له سبحانه[4].

ويظهر مما تقدَّم أن معنى **عملية وجل القلب:** هي خوف القلب من الله المصحوب بالخشية والمحبة، وإرادة ما عند الله من أجر وثواب، وهو ما يقوم به القلب عند ذكر الله تبارك وتعالى من تغييرات محمودة كالخشوع والإنصات.

([1])القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص 59.

([2])السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص554.

([3])ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص508.

([4])ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص105.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العملية الثلاثون: تَجْميم الفؤاد(القلب)[1].

وردت هذه العملية في سنة النبي حينما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ، وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ)**[2]، والمعنى المراد بعملية تَجْميم القلب أنها تريحه وتزيل عنه الهم وتنشطه[3].

وتعتقد الباحثة أن **عملية تَجْميم القلب**، أي: إراحته وإزالة همه، وهي ترتبط بالتَّلْبينة الواردة في الحديث فقط، في حال كان الإنسان من أهل الصلاح والتقوى الذين إذا ذُكر الله عندهم هدأت قلوبهم واطمأنت.

العملية الواحدة والثلاثون: تعلّق الفؤاد(القلب).

وردت عملية التعلق منسوبة للفؤاد(القلب) في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(القصص: 10)، والمعنى المراد من فراغ القلب في الآية هو أن القلب لا يشغله شيء من أمور الدنيا إلا ما تعلَّق به واشتد حبه فيه، واهتم لأمره بقوة، وهذا ما عناه ابن كثير من تفسيره للآية حينما قال: " يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فُؤَادِ أُمِّ مُوسَى، حِينَ ذَهَبَ وَلَدُهَا فِي الْبَحْرِ، إِنَّهُ أَصْبَحَ فَارِغًا، أَيْ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا إلا مِنْ مُوسَى، وإنها كَادَتْ مِنْ شَدَّةِ وَجْدِهَا وَحُزْنِهَا وَأَسَفِهَا لَتُظهر أَنَّهُ ذَهَبَ لَهَا وَلَدٌ، وَتُخْبِرُ بِحَالِهَا، لَولا أَنَّ اللَّهَ ثَبَّتها وصبَّرها"[4].

([1]) تشير الباحثة إلى أن الوجل كانت آخر عملية نُسبت للقلب، وأن العمليات التي ستأتي بعدها هي عمليات اقترنت بالفؤاد، وبما أن العلاقة بين القلب والفؤاد تقترب من الترادف، فإنه سيتم إدراج عمليات الفؤاد بعد عمليات القلب، وستأخذ نفس التعداد.

([2]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب التلبينة للمريض، ج7، ص 124، ح رقم: 5689.

([3]) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج10، ص 146.

([4]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج6، 223.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما قال سيد قطب عن معنى فراغ القلب في الآية أي أنه: "لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف"[1].

ومن معاني الفراغ القلبي المتقدمة يُفهم ضمناً من سياق النص أن القلب إن تعلق بأمر بقوة، أُفرغ مما سواه، **وهو المقصود بعملية تعلّق القلب**، وهي كما أُخِذَت من تفسير الآية، وأنها لم ترد صراحة بل تضمنها معنى الفراغ ودلَّ عليها.

العملية الثانية والثلاثون: ثبات الفؤاد(صَبْر القلب وثباته).

جاءت عملية الثبات مرتبطة بالفؤاد (القلب) في موضعين اثنين هما: الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(هود: 120)، والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾(الفرقان: 32).

ففي قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(هود: 120) يقصد بثبات القلب: التسكين وانتفاء الاضطراب والتزلزل، والصبر وزيادة اليقين، قال ابن عاشور: "وَالتَّثْبِيتُ: حَقِيقَتُهُ التَّسْكِينُ بِحَيْثُ يَنْتَفِي الاضْطِرَابُ وَالتَّزَلْزُلُ"، وتثبيت الفؤاد: " الصَّبْرُ وزِيَادَةُ يَقِينِهِ بِمَا وَعَدَهُ اللَّهُ"[2]،كما قال ابن القيم أن ثبات القلب هو صبره عند موارد الاضطراب[3] وسكينته عند هجوم المخاوف عليه وزوال قلقه[4]، وبهذا فهي قد تكون بمعنى الربط، حيث أن الربط كما تقدَّم في شرحها تعني الصبر.

([1]) قطب، سيد إبراهيم، في ظلال القرآن، ج5، 2860.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج12، 191-192.

([3]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، 19.

([4]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، 482.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما بيَّن السعدي أن تثبيت الفؤاد في الآية هو تثبيت القلب، أي أن الفؤاد هو القلب، حيث قال: "(وَكُلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل"[1].

أما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾(الفرقان: 32)، فمعنى التثبيت فيها هو زيادة قوة القلب وتحمله، قال القرطبي: "لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ" نُقَوِّي بِهِ قَلْبَكَ فَتَعِيهِ وَتَحْمِلُهُ"[2]، وهذا غاية التفريق في تنزيل القرآن، أي أن الحكمة من تنزيله مفرقاً زيادة قوّة القلب وقدرته على الحفظ والفهم والوعي[3].

ومنه يتبين أنّ معنى **تثبيت القلب** يدور حول معنيين هما: الصبر والتسكين واليقين، أو زيادة قوة القلب على الحفظ والفهم والوعي، وما يحكم مقصد العملية حال القلب عند قيامه بعملية التثبيت، فإن كان في شدة كانت عملية التثبيت بمعنى الصبر والتسكين، وإن كان يسعى لتلقي علم أو معرفة كانت عملية التثبيت بمعنى زيادة قوة القلب وقدرته على الفهم والحفظ.

العملية الثالثة والثلاثون: هوى (حنين) الفؤاد(القلب).

وردت عملية حنين الفؤاد(القلب) في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾(إبراهيم: 37).

وهذه العملية تضمنها المعنى المراد من قوله تعالى: (تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ)، قال ابن عاشور: "وَتَهْوِي: أُطْلِقَ هُنَا عَلَى الإِسْرَاعِ فِي الْمَشْيِ، وَالإِسْرَاعُ: جُعِلَ كِنَايَةً عَنِ الْمَحَبَّةِ وَالشَّوْقِ،

([1]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،392.

([2]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج13، 28.

([3]) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج8، 103.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَالْمَعْنَى: فَاجْعَلْ أُنَاسًا يَقْصِدُونَهُم بِحَبَّاتِ قُلُوبِهِمْ، فَأَقْحَمَ لَفْظَ الأَفْئِدَةِ لإِرَادَةِ أَنْ يَكُونَ مَسِيرُ النَّاسِ إِلَيْهِ مْعَ تَشَوّقٍ وَمَحَبَّةٍ حَتَّى كَأَنَّ الْمُسْرِعَ هُوَ الْفُؤَاد لا الْجَسَدُ"[1].

كما قال السعدي في تفسيره: " (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) أي: تحبهم وتحب الموضع الذي هم ساكنون فيه"[2]. أما القرطبي فبيَّن في تفسيره أن معنى (تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ) هو الحنين لزيارة البيت، حيث قال: " قَوْلُهُ: "تَهْوِي إِلَيْهِمْ" أَيْ تَحِنُّ إِلَيْهِمْ، وَتَحِنُّ إِلَى زِيَارَةِ الْبَيْتِ، و تَهْوَاهُمْ وَتُجِلُّهُمْ"[3].

واستناداً إلى ما تقدَّم فإنه يمكن القول إنّ **عملية حنين القلب** جاءت متضمَّنة في معاني الفعل (تهوي) الوارد في الآيات، وللوصول إلى نقطة التقاء في أقوال أهل العلم عند تفسيرهم للآية فإنّه يمكن القول أن عملية الحنين تحدث مصحوبة بدافع الحب والشوق، أي أنّ القلب يقوم بعملية الحنين؛ لأنّ ما دفعه للقيام بها هو حب الشيء وتعلقه به والشوق للقاءه.

العميلة الرابعة والثلاثون: صدق الفؤاد(القلب).

وردت عملية صدق الفؤاد(القلب) بصيغة نفي الكذب عنه، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[4](النجم: 11)، ويطلق الكذب في الآية على التخييل والتلبيس[1]، وقال القرطبي: إن المقصود بالفؤاد في الآية هو القلب[2].

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتوير، ج13، 142-143.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 427.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج9، 373.

([4]) اختلف أهل التفسير في نسبة الرؤية في هذا النص، فمن قائل هي رؤية للقلب وهي تختص برؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه بقلبه ليلة الإسراء والمعراج، ومن قائل هي تنسب للبصر(العين)، وقد مالت الباحثة إلى رأي السعدي في تفسير الآية حيث يقول: " فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره"، وبناءاً على ذلك لن تنسب الباحثة للقلب عملية للقلب اسمها رؤية القلب. (ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص 92، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص444، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 818).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفسَّر السعدي الآية بقوله: "أي: اتفق فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا دليل على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقيا لا شك فيه ولا شبهة ولا ريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشكّ بذلك"[3].

والمقصود **بعملية صدق القلب** كما يظهر من السياق مطابقة اعتقاد القلب مع حقائق الكون الخارجية التي يراها البصر وتشهدها الحواس، واتفاقه معها دونما شك، وتصديق القلب هنا يدور في معنى اليقين.

ومن خلال ما تقدم من بيان للعمليات التربوية الإيجابية للقلب فإنه يمكن للباحثة تسجيل الملحوظات الآتية:

1. ورود العمليات التربوية الإيجابية منسوبة للقلب والفؤاد كان في نصوص القرآن والسنة وبالاشتراك، مع التأكيد على أن العمليات المنسوبة للقلب أكثر بكثير من المنسوبة للفؤاد.
2. كان عدد العمليات التربوية المنسوبة للقلب كبيراً إذ تجاوز الثلاثين، وهو مؤشر قوي على المكانة العليا والأساسية للقلب بين مكونات الشّخصية، وأن يشمل عنصرا نشطا في فاعلية الشّخصية ومواقفها واتجاهاتها نظرا لما يقوم به القلب من عمليات غاية في الأهمية.
3. تنوع العمليات التربوية القلبية، إذ لم تقتصر على نوع واحد من العمليات، بل يمكن ملاحظة: عمليات قلبية معرفية كالفقه والعقل، وعمليات عقدية كالإيمان، وعمليات

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج27، ص99.

([2]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص 92.

([3]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 818.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تربوية انفعالية كالوجل، وهكذا. وهذا يدل على القدرات الهائلة التي يتمتع به قلب الإنسان.

4. وردت العمليات القلبية تارة مثبتة وهي الأكثر كالوجل والخشوع ، ووردت منفية وهي الأقل كالفقه مثلا، مما يعني قبلية القلب للسواء والانحراف.
5. وردت بعض العمليات تحمل جانبا إيجابيا وجانبا سلبيا بحسب نوع السّلوك المحمول فيها، ومن ذلك عملية تزيين القلب، فقد يكون التزيين إيجابيا كالإيمان، وقد يكون سلبيا كسوء الظن بأقدار الله.

المبحث الثاني: سمات القلب(الإيجابية) الناتجة عن العمليات التربوية في ضوء القرآن والسنة.

يختص هذا المبحث من الدراسة ببيان السمات التربوية الإيجابية للقلب، التي يمكن القول بأنها تكون نتاج قيامه بالعمليات التربوية الإيجابية– فهذا هو الأصل– وسيتم بحث هذه السمات حسبما وردت في آيات القلب والفؤاد وأحاديثهما التي ستكون محل الدراسة، بغية الوصول لتحديدها حسب الفهم العلمي لسياقات النصوص التي وردت فيها.

تمهيد: المقصود بسمات القلب ومنهجية تحديدها نصوص في القرآن والسنة.

انطلقت الباحثة في دراستها للسمات التربوية الإيجابية للقلب، من سياقات النصوص الشرعية في القرآن والسنة، مستندةً في ذلك إلى ما ارتبط بالقلب في الآيات والأحاديث من ألفاظ تصلح لتكون سمات تربوية إيجابية للقلب، وتعد هذه العملية تأصيلا إسلاميا للسمات على اعتبار أنّ الدراسة تعتمد بالدرجة الأولى على القرآن والسنة وتفاسيرهما.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعرف السِمة في نظريات الشّخصية الإنسانية بأنها بِنْية عصبية نفسية لها القدرة على استخلاص المثيرات المتكافئة وظيفيا وعلى المبادأة في التوجيه لأشكال من السّلوك التوافقي، وللسمات دور في تفسير الاتساق في السّلوك الإنساني، وتنظيم الخبرات التي يتعرض لها البشر[1]. وتعرف كذلك بأنها صفات الذات الإنسانية التي تؤثر في تنميطها ومواقفها وسلوكها[2].

وتعرف الباحثة السمات التربوية الإيجابية للقلب في هذه الدراسة بأنها: ما يتعلق بالقلب من صفات أو أحوال تدل على صحته وسلامته.

كما تشير الباحثة إلى أنّ المنهجية المتبعة في بحث السّمات وبيانها ستكون ذات المنهجية التي اتبعتها في بحث العمليات التربوية في المبحث الأول من هذا الفصل، أي أنّها ستعتمد أولاً على الآيات والأحاديث التي تضمنت السمات، وستقدِّمها كأدلة عليها، ثم ترجع إلى أقوال أهل التفْسير والحديث في بيانهم لشرح النصوص، ثم التعليق عليها بما يتوافق مع الأقوال.

وبعد النظر والتحليل للنصوص الشرعية المتعلقة بالقلب تبيَّن أن القلب يتسم بخمس سمات تربوية إيجابية يمكن أن تكون نتاج العمليات التربوية الإيجابية التي يقوم بها القلب. وتحديد هذه السمات هي عملية اجتهادية، إذ رأت الباحثة من خلال دراستها لما يُضاف للقلب في النصوص أن قسما منها هو ألصق بكونه سِمة للقلب أو صفة أكثر من كونه عملية يقوم بها القلب، فمثلا يمكن تصنيف فقه القلب بأنه عملية في حين يمكن تصنيف طمأنينة القلب أو قسوة القلب بأنها سِمة. فكأنّ السِمة وصف قوي قد تشكل للقلب نتيجة قيامه بعدة عمليات أو نتيجة وجود عدة انحرافات أو عوامل معينة أثرت فيه، وقد يشهد لهذا الحديث النبوي حيث وردت سِمة بياض القلب في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ**

([1]) جابر، جابر عبد الحميد. نظريات الشّخصية، ص256 –257.

([2]) خطاطبة، عدنان مصطفى، بِنْية الشّخصية الإنسانيّة ومحدّداتها وسِماتها عند ابن تيميّة، ص7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عُودًا عُودًا، فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)[1].

فواضح منه أنّ ثمة مؤثرات وعمليات مختلفة تقع على القلب أو تصدر منه وتشكل في النهاية سمات للقلب قد تكون إيجابية(أبيض)، وأخرى سلبية(مرباداً).

سمات القلب في النصوص الشرعية:

السِمة الأولى: بياض القلب.

وردت سِمة بياض القلب في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)**[2].

وقد بيَّن النووي معنى بياض القلب الوارد في الحديث فقال: "لَيْسَ تَشْبِيهُهُ بِالصَّفَا بَيَانًا لِبَيَاضِهِ لَكِنْ صِفَةً أُخْرَى لِشِدَّتِهِ عَلَى عَقْدِ الإِيمَانِ وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْخَلَلِ، وَأَنَّ الْفِتَنَ لَمْ تَلْصَقْ بِهِ وَلَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ كَالصَّفَا وَهُوَ الْحَجَرُ الأَمْلَسُ الَّذِي لا يَعْلَقُ بِهِ شَيْءٌ"[3]، ومنه يعرف أن سِمة البياض تتحقق للقلب في حال قيامه بعملية الإنكار للفتن التي تعرض عليه، ويتعرض لها.

([1]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبا وأنه يأزر بين المسجدين، ج1، ص 128، ح رقم: 144.

([2]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبا وأنه يأزر بين المسجدين، ج1، ص128، ح رقم: 144.

([3]) النووي، محيي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم ، ج2، ص172-173.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسِمة بياض القلب هي صفة معنوية لا حسية يراد بها اتصاف القلب بدرجة عالية من النقاء والسلامة والوضوح، فلا يقبل شكوكا عقدية ولا تؤثر فيه فتن دنيوية.

السِمة الثانية: توحد القلوب وتشابهها.

ذُكرت سِمة توحّد القلوب وتشابهها في حديث رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلا يَمْتَخِطُونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ أَمْشَاطُهُمْ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمْ الْأُلُوَّةُ وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنْ الْحُسْنِ، لا اخْتِلافَ بَيْنَهُمْ وَلا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**)[1].

والمقصود بتوحّد القلوب وتشابهها أي أنها تتشابه في صفائها وخلوها من الأكدار[2]، وقد يكون معنى تشابه القلوب وتوحدها هو اتفاقها على الرضى بما أعدَّه الله لها من نعيم مقيم في الجنة. وفي هذه السِمة دليل على إمكانية تشابه قلوب عباد الله تعالى في اتصافها بصفات السلامة والصحة والطهارة. وهذا ما يعرف في علم الشّخصية الإنسانية بتماثل سمات الشّخصية، إذ يمكن أن توجد سِمات أساسية متفقة إلى حد كبير في عدد كبير من الناس.

السِمة الثالثة: سكينة القلب(القلب الساكن).

وردت سكينة القلب في كتاب الله عز وجل في آيتين كلاهما وردتا في سورة الفتح، الأولى هي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾(الفتح:4)،

([1])مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا، ج4، 2180، ح رقم: 2834.

([2])العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج15، ص 154.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والثانية هي قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(الفتح: 18).

والسكينة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾(الفتح:4) تعني: "السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس"[1]، وقيل أنها تعني زيادة الإيمان[2].

أما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(الفتح: 18) فإن السكينة تعني الثقة والطمأنينة إلى وعد الله، وانتظاره دون تحسر على ما جرى من حال[3]، وقيل هي تذليل القلوب لقبول أمر الله[4].

السِمة الرابعة: سلامة القلب(القلب السليم).

جاءت سِمة سلامة القلب في آيتين باقتران مباشر بلفظة القلب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(الشعراء: 89)، وفي قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(الصافات: 84).

وسِمة سلامة القلب تعني أن يكون القلب خالياً "من الشرك والشك ومحبة الشر والإصرار على البدعة والذنوب"[5]، وأنْ يتصّف بصفات "الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه، وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله، وهواه تابع لما جاء عن الله"[6].

([1])السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 511.

([2])القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص264.

([3])ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج26، ص 176.

([4])أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج9، ص 493.

([5]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 593.

([6]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 593.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما تعني سلامة القلب: "الْخَلاصُ مِنَ الْعِلَلِ وَالأَدْوَاءِ"[1]، وقيل: هو "الخلوص من الشرك"[2]، وقيل هو القلب السالم من العلل والآفات النفسية كالحسد والغل والنوايا السيئة[3].

وتعني سِمة سلامة القلب: خُلوصه بالتوحيد وخلاصِه من الشرك ونقائه من العلل الفاسدة وتشبعه باليقين والمحبة.

وتعد سِمة سلامة القلب من السمات الرئيسة المحددة لمعالم الشّخصية المؤمنة التي ظهرت صورتها واضحة في دعوة القرآن الكريم ومنهجيته في بنائها. إذ جعلت هذه الشّخصية بتلك السِمة الكبرى الأساسية من الشخصيات المرضي عنها عند الله تعالى والفائزة برضوان الله تعالى في الآخرة والمحققة للنجاة، كما هو مشهود في الآيات السابقة. وفي هذا شحن للهِمم ليرتقي كل مسلم بشخصيته إلى سلم الشّخصية صاحبة القلب السليم، لتكون شخصيته ناجحة في الدنيا بسلوكها المستقيم وفي الآخرة بنجاتها من العذاب الأليم.

السِمة الخامسة: طمأنينة القلب.

تعد سِمة الطمأنينة من السّمات الأساسية للقلب، ولها حضور قوي في النصوص الشرعية، فقد وردت في نصوص القرآن منسوبة إلى القلب ست مرات، وهي: في قول الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾(النحل: 106)، أي: "الحالُ أن قلبه مطمئنٌّ بالإيمان لم تتغير عقيدتُه"[4]، وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(آل عمران: 126)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج23، ص 173.

([2]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص 24.

([3]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج23، ص 68.

([4]) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج4، ص155.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴾(الأنفال: 10)، قال ابن عاشور: "وَالطَّمْأَنَةُ وَالطُّمَأْنِينَةُ: السُّكُونُ وَعَدَمُ الاضْطِرَابِ، وَاسْتُعِيرَتْ هُنَا لِيَقِينِ النَّفْسِ بِحُصُولِ الأمْرِ"[1]، وقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(الرعد: 28)، قال القرطبي: "(وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) أي: تسكن وتستأنس بتوحيد الله فتطمئن"[2]، وقول الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ ﴾(البقرة: 260)، والطمأنينة هنا: اعتدال وسكون ويقين[3]، وقوله تعالى عن الحواريين الذين طلبوا من عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم ربهم مائدة من السماء: ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(المائدة:113)، قال الطبري: "وتطمئن قلوبنا"، يقول: وتسكن قلوبنا، وتستقرّ على وحدانيته وقدرته على كل ما شاء وأراد"[4].

وعليه، **فسِمة طمأنينة القلب:** يراد بها سكون القلب ويقينه الراسخ وثبات اعتقاده بما جاء به الوحي من الإيمان بالله وتوحيده ومعرفته وصفاته ووعده.

وسِمة طمأنينة القلب سِمة عالية المنال والرتبة، تأتي في المراتب العليا لسمات الشّخصية المؤمنة التي تسعى التربية الإسلامية لبنائها. لذا وجب على مناهج التربية الإسلامية التي تضع المحتوى التربوي المتدرج والمتصاعد لبناء السّمات الإيجابية لشخصية الطالب المسلم، لتصل به إلى تلك المرتبة في قمة الهرم وهي سِمة الطمأنينة، ومتى ما تحققت شخصية المتعلم

([1]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج23، ص 68.

([2]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص315.

([3]) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج1، ص382.

([4]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج11، ص224.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بهذه السِمة فلا شك أنّ هذا يشكل رسوخا في اعتقاده، ويقينا في فكره، وسكونا في نفسه، يحفظ شخصيته من الشك والتردد في حال تعرضه للشبهات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث: الانحراف في العمليات التربوية للقلب وسماته الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة.

المبحث الأول: الانحراف في العمليات التربوية للقلب في ضوء القرآن والسنة.

المبحث الثاني: سمات القلب الناتجة عن الانحراف في العمليات التربوية للقلب في ضوء القرآن والسنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثالث: الانحراف في العمليات التربوية للقلب وسماته الناتجة عنها في ضوء القرآن والسنة.

يتناول هذا الفصل من الدراسة بياناً للانحراف الحاصل للعمليات التربوية المنسوبة للقلب والفؤاد في النصوص الشرعية من القرآن والسنة، ثم بحث السّمات السلبية التي يتسم بها القلب والفؤاد نتيجة تعرضهما للانحراف في عملياتهما التربوية، ويتم ذلك كله ضمن إطار التأصيل الإسلامي المنطلق من القرآن والسنة. وقد تقدم في الفصل الثاني التعريف بالعمليات التربوية للقلب وسماته في هذه الدراسة.

المبحث الأول: الانحراف في العمليات التربوية للقلب في ضوء القرآن والسنة.

يعد السّلوك القلبي السّوي هو الأصل الذي فَطَرَ الله عليه الإنسان، حيث تقدَّم في الفصل السابق توضيح هذا السّلوك الإيجابي من خلال بيان العمليات التربوية الإيجابية التي يقوم بها القلب، إلا أنه بعد النظر والتدقيق في النصوص الشرعية تبيَّن أن القلب يقوم بسلوكات وعمليات سلبية كالغل والكفر والنفاق، وأطلقت عليها الباحثة في هذه الدراسة اسم انحراف العمليات التربوية للقلب، على اعتبار أنّ الأصل في العمليات التربوية للقلب إيجابية بالطبع لوصفها بالتربوية، ثم لما وجدت عمليات سلبية منسوبة للقلب، تم إطلاق مصطلح انحراف العمليات التربوية للقلب على اعتبار أن تلك العمليات خالفت الأصل وهو العمليات التربوية– الإيجابية– وابتعدت عنه.

لذا، فإنّ هذا المبحث من الدراسة يختصّ بتحديد جملة الانحرافات في العمليات التربوية للقلب والفؤاد وبيانها، كما وردت في الآيات والأحاديث منسوبة للقلب وللفؤاد تحديداً حسب فهم سياقات النصوص ودلالاتها التي وردت فيها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد: المقصود بانحراف العمليات التربوية للقلب ومنهجية تحديدها في القرآن والسنة.

انطلقت الباحثة في دراستها للقلب من القرآن والسنة، واتبعت ذات الطريقة التي سبق تحديد معالمها في الفصل الثاني، لبيان الانحراف الواقع للعمليات التربوية المرتبطة به بشكل صريح في سياقات النصوص، فتم توضيح مفهوم كل عملية سلبية نُسبت للقلب وللفؤاد استنادا لأقوال أهل العلم من المفسرين والعلماء، وهذه الخطوة تعد تأصيلا إسلاميا للعملية على اعتبار أن الدراسة تعتمد بالدرجة الأولى على القرآن والسنة وتفاسيرهما.

وتُعرّف الباحثة بداية **الانحراف في العمليات التربوية للقلب** في هذا الجزء من الدراسة: **بأنها ما يُنسب إلى القلب والفؤاد في النصوص الشرعية من سلوك(نشاط) سلبي يقوم به أو يقوم فيه.**

والطريقة المتبعة في دراسة الانحراف في العمليات التربوية للقلب تتحدد بالخطوات الآتية: استقراء النصوص الشرعية الواردة في القلب– الفؤاد– وتحديد تلك النصوص التي ترى الباحثة أنها قد تضمنت عملية سلبية منسوبة للقلب– الفؤاد– في السياق وفقا لمفهومها المتقدم الذكر. ثم حصر تلك العمليات السّلبية وتحديد أسمائها بحسب ورودها في النص، ثم البدء بشرح كل عملية من هذه العمليات السّلبية، بذكر الأدلة الدالة عليها ثم بيان وجه الدلالة من كلام المفسرين وأهل العلم. والخروج بعد ذلك بتقديم خلاصة لذلك الانحراف. وقد يتبع أحيانا بتعليق تربوي ونفسي في إطار تربيتنا الإسلامية ونظرتها في بناء الشّخصية الإسلامية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منظومة انحراف العمليات التربوية للقلب:

الانحراف الأول: إباء القلب (الرفض).

وَرَدَ الإباء والرفض منسوباً للقلب كإحدى العمليات السلبية(انحراف) التي يقوم بها في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ (التوبة: 8).

ويقصد بالإباء "الامتناع من شيء مطلوب"، أي أن القلب يأبى قبول الرضى بالعهد والوفاء به، ونَوَت قلوبهم على الغدر، حيث أظهروا بأفواههم الرضى بالعهد ورفضت قلوبهم الرضى به فبيتت نية الغدر فيها[1].

ومنه يتضح أن **إباء القلب** هو أن يرفض الالتزام بما هو حق عليه، حتى لو قام بإظهار خلاف ذلك. وهذا يعد ميلاً وانحرافاً عن أصل عمليات القلب وسلوكه القويم.

ومثل هذا السّلوك السلبي يمثل انحرافا في شخصية الإنسان، ويعد من أنماط الشّخصية المنافقة في القرآن والسنة، وهي الشّخصية التي يظهر صاحبها موقفا معينا ويبطن ما يضادّه ويناقضه مما يخالف الشرع.

ومن هنا فإنه يجدر بالمسلم أن يتنبه لحال قلبه في حال عُرِض عليه أمر من أوامر الله؛ فإن كان راضيا به مستعدا للعمل فيه فهو على خير، وإن كان خلاف ذلك فعليه أن يرجع ويتوب ويبادر لإصلاح قلبه.

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج10، ص 124.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانحراف الثاني: إثم القلب.

جاء ذكر الإثم مقترناً بالقلب باعتباره انحرافاً عن سلامة السّلوك القلبي في آية واحدة فقط، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ (البقرة: 283). ومعنى إثم القلب الوارد في الآية أي: فجور القلب واكتسابه المعصية بسبب كتم الشهادة[1]، وقيل هو مَسخ القلب أي جعله منافقا مطبوعا عليه. وقد خص القلب بالذكر؛ لأن الكتم من أفعاله فاستحق على ذلك الإثم[2]. وقيل أن نسبة الإثم للقلب فيها دلالة على أنه كما للجوارح والأعضاء إثم تكتسبه بسوء عملها؛ فإن للقلب إثم كذلك بسوء عمله وسلوكه، ومن آثام القلب سوء القصد والنية والحسد[3]، كما أن كتمان الشهادة فيه إصرار على المعصية والذنب؛ لذا فإنه استحق الإثم[4]. وعليه فإنه يمكن القول أن **مقصود إثم القلب** يدور حول معاني الفجور، والمعصية، والإصرار على الذنب المتولد من سوء النية والقصد. وهو يمثل انحرافا عن العمليات التربوية الأصيلة للقلب التي تتمثل بضرورة صدقه وتقواه وكسبه للحسنات.

([1]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج6، ص99.

([2]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص 415.

([3]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج3، ص 79.

([4]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج3، ص 128.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانحراف الثالث: اختلاف القلب.

ذُكِر اختلاف القلب في السنة النبوية المطهرة دون القرآن العزيز، وذلك في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(اسْتَوُوا، وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِى مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى)**[1].

ويقصد باختلاف القلب المذكور في الحديث: أي تقلّب إرادته وأهوائه، وتغيّره من حال إلى حال[2]، وقيل اختلاف القلوب: أي تباغضها وعدم ألفتها بسبب اختلافها في صفوف الصلاة، حيث جُعلت عقوبة اختلاف البواطن عقوبة لاختلاف الظواهر[3].

ومنه، فإنّ **اختلاف القلب** يعني تغيُّر حال القلب من المحبة والتآلف إلى الكره والتباغض.

وفي ذلك تنبيه تربوي ونفسي مهم لجماعة المسلمين إلى ضرورة التقيد بتوجيهات الشرع في حال قيامهم بالعمل الجماعي، وأن هذا التقيد سبب قوي للمحافظة على وحدة صفهم ونجاحهم في عملهم، وأنّ الاختلاف والمحادّة للشرع التي تقع بين صفوف العاملين والقائمين بأمر مشروع سبب قوي لوقوع التنازع وحدوث الفشل في مشاريعهم وأعمالهم الجماعية، ومن ثم تأثر بواطنهم وصدورهم حيث تحمل الكره والتباغض والعداء لبعضها بعضا وهو أمر ملاحظ في الواقع.

الانحراف الرابع: ارتياب القلب.

جاء الحديث عن ارتياب القلب في القرآن الكريم فقط في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (التوبة: 45).

([1]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام إليها وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام، ج1، ص 323، ح رقم: 432.

([2]) القاري، علي بن محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج3، ص849.

([3]) الأمير، محمد بن إسماعيل، التحبير لإيضاح معاني التيسير، ج5، ص 636.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعنى المراد من ارتياب القلب الوارد في الآية هو أنه ليس له إيمان تام ولا يقين صادق، فَقَلّت رغبتهم بفعل الخير؛ لأن الحيرة والشك تمكّنت في قلوبهم[1]، وقيل: الارتياب هو الشك في الأمر بسبب التردد في تحصيله، وهو هنا انتفاء الإيمان وإخفاء الكفر في القلب[2].

ويتضح مما سبق أنّ **ارتياب القلب** هو شكه في صحة ما هو صحيح، واختلال صدق إيمانه ويقينه، وقد يصل لدرجة النفاق بإظهار الإيمان وإخفاء الكفر.

الانحراف الخامس: اشمئزاز القلب.

وردت اشمئزاز القلب في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الزمر: 45).

والمقصود باشمئزاز القلب أي انقباضه واستكباره، وتركه للمتابعة والانقياد، وعدم قبوله للخير[3]، مع شدة الكراهية والنفور[4]، وقيل: إنّ الاشمئزاز هو أنْ "يمتلئ القلب غيظا وغمّا ينقبض عنه أديم الوجه كما يشاهد في وجه العابس المحزون"[5].

ويتبين مما تقدَّم أن **اشمئزاز القلب** يعني نفوره عند ذكر الله واستكباره عن قبول الحق، وانقباضه عند ذكر الخير مع شدة في بغضه وكرهه له.

ولذلك ينبغي للشخصية المسلمة أن تكون على حذر شديد من النفور الباطني من أحكام الشرع والهدي النبوي، وسماع القرآن والذكر، وأن تحرص كل الحرص على أن تكون شخصية

([1]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 338.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج10 ،213 ص.

([3]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص 102.

([4]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج24، ص 30.

([5]) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج12، ص 265.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منشرحة الصدر لأحكام الشريعة وتلاوة القرآن واتّباع السنة؛ حذراً من مشابهة النمط الكافر من أنماط الشّخصية الإنسانية التي ذكرها القرآن ومن صفاتها كره الحق والنفور من الوحي.

الانحراف السادس: اضطراب القلب(الجزع).

ورد في القرآن الكريم ما يدل على اضطراب القلب وفزعه وروعه في الحالات غير الطبيعية والمألوفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر: 18)، وفي قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ (الأحزاب: 10).

وقيل: إن قوله (إذ القلوب لدى الحناجر) فيه دلالة على شدة الاضطراب والجزع من هَوْل ما يراه الإنسان[1]، ووصلت القلوب إلى الحناجر من الروع والكرب الشديدين[2]. وقيل: إنه كناية عن شدة الخوف والفزع، وإنه لشدة اضطرابه كادَ أن يبلغ الحنجرة ويخرج منها لولا أنْ ضاقت عليه[3].

ومنه يتضح أن **اضطراب القلب** هو ما يحدث له من فزع وخوف وجزع عند الشدائد والأهوال، كما في حالات الحروب أو عند الموت.

الانحراف السابع: إنكار القلب للحق.

ورد انحراف إنكار القلب للحق في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ (النحل: 22)،

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج24، ص 114.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص735.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص 145.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(وَلَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ)**[1].

ويقصد بإنكار القلب في الآية الكريمة أنه نقيض الإقرار بما هو حق وصدق، يقول ابن عاشور: "الإنكار ضد الإقرار، واستعمل في جحد الأمر الواقع، أي أن الإنكار ثابت لهم دائم لاستمرارهم عليه بعد ما تبين من الأدلة"[2]، أي أن القلوب لا تصدق بوعد الله ووعيده، ولا تقر بالمعاد بعد الممات، ومستنكرة لعظمة الله وقدرته ونعمه[3].

كما أن إنكار القلب الوارد في الحديث النبوي يدل على عدم قبول القلب للتغيير الذي كان سيقوم به النبي صلى الله عليه وسلم لو قام به، وسبب ذلك أنهم لا يقبلون تبديل حال كعبتهم؛ لأن دخولهم في الإسلام كان حديثاً، وكان فيهم من حمية الجاهلية وعصبيتها ما يمنعهم من قبول التغيير مع أن ذلك هو الصواب الذي فيه خيرهم.

ومنه يمكن القول أن **إنكار القلب** للحق يدور حول معاني رفض الإقرار به وعدم قبوله، والتكذيب المستمر له ولأهله.

الانحراف الثامن: تَشَتّت القلب.

ذُكر تشتت القلب صراحة في القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿**لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ**﴾(الحشر: 14).

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ج2، ص146، ح رقم: 1584.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج14، ص 128.

([3]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج17، ص 188.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمراد بالتشتت الوارد في الآية أن القلوب مختلفة لا تجتمع على رأي ولا تتفق على أمر، والتشتت يدل على شدة الاختلاف بينها، يقول القرطبي: "المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحد، وقلوبهم أشت أي أشد اختلافاً"[1].

كما أنه يقصد به تناقض الحال الظاهر مع حقيقته الباطنة، فما يظهر هو التآلف والتواد والاتحاد، وحقيقة الأمر هو الاختلاف والتنافر والتضاد، يقول أبو حيان: "تحسبهم مجتمعين ذوي ألفة واتحاد، وأهوائهم متفرقّة لا تستقر على شيء واحد، وموجب ذلك الشتات هو انتفاء عقولهم"[2].

ومنه يمكن القول أن **انحراف تشتت القلب** يعني: اختلاف شخصية الإنسان بين حالها الباطنة وحالها الظاهرة، وعدم اجتماع قوى قلوب عدد من الأشخاص في شأنٍ يعنيهم على توجه واحد، وتناقضها مع بعضها بعضا في الإرادة والهوى.

الانحراف التاسع: تكذيب القلب.

جاء التكذيب متضمناً قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(الشعراء: 200)، حيث إن المقصود من الآية هو تكذيب القلب لما نزل من القرآن مع معرفته دلائل الصدق وبيانها[3]، والتكذيب بالظلم والإجرام، يقول السعدي: "(كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أي: أدخلنا التكذيب، وأنظمناه في قلوب أهل الإجرام، كما يدخل السلك في الإبرة، فتشربته، وصار وصفا لها، وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم"[4].

([1]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص 38.

([2]) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج10، ص 146.

([3]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج19، ص 194.

([4]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص597.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما تقدَّم يظهر **أن القلب يقوم** بتكذيب ما هو حقّ مع علمه بصدقه؛ لأن ذلك يتوافق مع ما تعلق به من ظلم وإجرام، وهذه العملية تنافي الصدق الذي يعمل به القلب الذي سَلِمَ صاحبه من الظلم والإجرام.

الانحراف العاشر: جزع القلب وهلعه.

وردت عملية جزع القلب وهلعه صراحة في السنة النبوية المطهرة، وذلك في حديث توزيع المال الذي أُتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم والذي جاء فيه أَنَّ رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَمَهُ فَأَعْطَى رِجَالا وَتَرَكَ رِجَالا، قال:(...**وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ**)[1].

ويقصد بالجزع في الحديث هو أنه ضد الصبر، وهو الفزع، والهلع أقوى منه وأشد وهو الجُبْن[2]، وقيل أن الجزع الضعف عن الصبر وتحمل ما ينزل به من مكروه، والهلع أشد الفزع والخوف[3].

ووردت عملية الجزع بمضمونها في معنى قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح: 18)، حيث أن قلوب المؤمنين دخلها الجزع مما فرضه المشركون من شروط على النبي صلى الله عليه وسلم، يقول السعدي: " وعلم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله، فأنزل عليهم السكينة تثبتهم، وتطمئن بها قلوبهم"[4].

([1]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الجمعة بع الثناء: أما بعد، ج2، ص 10، ح رقم: 923.

([2]) العيني، بدر الدين أبو محمود محمد بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج6، ص 255.

([3]) ينظر: تعليق مصطفى البغا على الحديث في صحيح البخاري، ج2، ص10.

([4]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص793.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما سبق يتبين أنّ **جزع القلب وهلعه** هو فقدانه للصبر وتحمّل الكرب، مع شدّة في خوفه وفزعه من فوات ما يريده من أمر فيه مصلحته.

وفي هذا توجيه للشخصية المسلمة على سعيها لتنمية ثقتها بالله تعالى وقناعتها بحكمته سبحانه في أفعاله وأقداره، حتى لا يصاب عند وقوع المصائب بسوء الظنّ والَهلَع والقلق مما قد يفقده أجر الصابرين ورضا أرحم الراحمين.

الانحراف الحادي عشر: حسرة القلب.

اقترنت الحسرة بالقلب بصورة مباشرة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ ﴾(آل عمران: 156).

والمعنى المراد من حسرة القلب الواردة في الآية هو الندم الذي يغلب على حال القلب عند توقعه حصول أمر ثم مخالفة الواقع لما ظنه القلب، يقول القرطبي: "حَسْرَةً أَيْ نَدَامَةً فِي قُلُوبِهِمْ، وَالْحَسْرَةُ: الاهْتِمَامُ عَلَى فَائِتٍ لَمْ يُقْدَرْ بلوغه"[1]. كما أن الحسرة تدل على معاني الحزن العميق مع الأسف والندم على ما فات، يقول ابن عاشور: "وَالْحَسْرَةُ: شِدَّةُ الأسَفِ، أَيِ: الْحُزْنِ"[2].

ومما تقدَّم يتضح أنّ **حسرة القلب** تحمل معاني الحزن والندم القلبي الحاصل نتيجة خيبة الظن في وقوع ما يتمناه الإنسان ويتوافق مع إرادته وهواه.

([1]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص 247.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج4، ص142.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانحراف الثاني عشر: حَمِيّة القلب (التعصب).

وردت الحمية منسوبة للقلب في قول الله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (الفتح: 26).

والمقصود بحمية القلب الواردة في الآية تتضح من كلام ابن عاشور في تفسيره إذ يقول: "وَالْحَمِيَّةُ: الأَنَفَةُ، أَيِ الاسْتِنْكَافُ مِنْ أَمْرٍ لأَنَّهُ يَرَاهُ غَضَاضَةً عَلَيْهِ، وَأَكْثَرُ إِطْلاقِ ذَلِكَ عَلَى اسْتِكْبَارٍ لا مُوجِبَ لَهُ، فَإِنْ كَانَ لِمُوجِبٍ فَهُوَ إِبَاءُ الضَّيْمِ، وَإِضَافَةُ الْحَمِيَّةِ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ لِقَصْدِ تَحْقِيرِهَا وَتَشْنِيعِهَا فَإِنَّهَا مِنْ خُلُقِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ انْتِسَابُ ذَمٍّ فِي اصْطِلاحِ الْقُرْآنِ"[1].

وقد وضَّح السعدي أنّ الحمية ما هي إلا استمرار على المعاصي تمثل السبب في تورّث القلب حمية جاهلية[2]، وعصبية منافية لمنظومة الأخلاق المرغوبة.

ومما سبق يتبين أن **حَمِيّة القلب** تعني تعصب القلب واستكباره عن الآخر لتوهمه بأفضليته وميزته عليه بسبب القبيلة أو المكانة الاجتماعية، وخلاف ذلك من دواعي التعصب المنبوذ.

ومثل هذه العملية المذمومة فيها توجيه تربوي لشخصية المسلم في مجتمعه المسلم؛ ليحافظ على قيمه الإسلامية ومنطلقاته في علاقاته الاجتماعية ومواقفه الحياتية المختلفة، وأنْ يكون ذلك كله تحت مظلة العقيدة الإسلامية بعيدة كل البعد عن نوازع النفس الأمارة بالسوء وغوائل الصدر وغروره؛ لأن من شان ذلك كله أن يدفع باتجاه تقطيع الأواصر والعلاقات الاجتماعية وإيجاد تحزبات ضيقة وفئوية من شأنها إضعاف المجتمع المسلم.

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج26، ص 194.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 794.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانحراف الثالث عشر: رُعْبُ القلب.

ذُكِر الرعب منسوباً للقلب في ثلاث آيات من الكتاب العزيز، الأولى: في قوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ (آل عمران: 151)، والثانية: في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾(الأحزاب: 26)، والثالثة: في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ (الحشر: 2).

ويقصد برعب القلب الوارد في الآيات الكريمة أي: "الفزع من شدة الخوف"[1]، وقيل هو الخوف[2]، ونتيجته تكون الاستسلام والخضوع والذل[3].

وبذلك فإن **رعب القلب** يعني الخوف والفزع الذي يلقى في القلب عند رؤية الإنسان لما يثير في نفسه القلق على حياته وشؤونه، كالحرب والقتل وغيرهما.

الانحراف الرابع عشر: رَيْب القلب(التَصَدّعُ والتقطّع).

ورد الرَيْب مقترناً بالقلب صراحة في قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾ (التوبة: 110)، والمعنى من رَيْب القلب هو الشك والنفاق، وقيل هو الحسرة والندامة والغيظ، وأن كل ذلك يؤدي إلى تصدُّع القلب ثم موته[4].

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج4، ص 123.

([2]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص 398، والجوزي، جمال الدين أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، ج3، ص 459، والألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج11، ص 172.

([3]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 660.

([4]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص 266.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيل هو الشك الذي يطلق على فساد المعتقد واضطرابه مع الإعراض عن الشيء والتخبيط فيه، مما يؤدي إلى اعتقاد صواب الفعل، ولا يزال الحال على ذلك إلى أن يتقطَّع القلب أي: يتفرق إلى أجزاء ويموت على ذلك[1].

وقد بيَّن ابن عاشور أنّ الرّيبة الواردة في الآية تعني: النفاق، وعلّل هذا بأنّ النفاق ما هو إلا شك في الدين، وأنّ القلب سيبقى على حاله إلى أن يتقطّع من نفاقه وشكّه وما هو بمتقطّع، وهذا من قبيل تأكيد الشيء بضده[2]. ومما يشهد على هذه العملية السلبية قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: 64)، إذ بيّن صاحب المنار أن مقصود الإنباء عما في القلب هو الإخبار عما فيه من شك وارتياب وضغينة وشر[3].

ومما تقدَّم يتضح أنّ "**ريب القلب**" يدور حول معاني الشّك والنفاق والكفر، المؤدّي إلى تصدُّع القلب من شدة شكِّه ونفاقه، وبقائه على ريبه حتى مماته.

الانحراف الخامس عشر: زيغ القلب.

وردت زيغ القلب في أربعة مواضع في القرآن الكريم، أول المواضع في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ ﴾(آل عمران: 7)، وثانيها: كان في الآية التي تلت الآية السابقة من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾(آل عمران: 8). أما الموضع الثالث: ففي سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ

([1]) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج5، ص 507-508.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج11، ص 36.

([3]) الحسيني، محمد رشيد بن علي، تفسير المنار، ج10، ص 454.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ (التوبة: 117)، ورابع المواضع: هو قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾(الصف: 5).

وفي تفسير أهل العلم لزيغ القلب الوارد في الآيات الكريمة السابقة تبيَّن أن معناه يدور حول الميل والانحراف عن المقصود[1]، المؤدي إلى الوقوع في الضلال والعصيان والباطل[2]، وقيل: هو فساد القلب بميله عن الدين[3]، وقيل: هو العدول عن الحق إلى الباطل والميل عن الاستقامة إلى الأهواء[4]، وهو الجَور عن قصد السبيل[5].

كما بيَّن السعدي في تفسيره لآية التوبة: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ﴾(التوبة: 117)، أن زيغ القلب هو "انحرافه عن الصراط المستقيم، فإنْ كان الانحراف في أصل الدين، كان كفرا، وإنْ كان في شرائعه، كان بحسب تلك الشريعة، التي زاغ عنها، إما قصر عن فعلها، أو فعلها على غير الوجه الشرعي"[6].

ومما سبق يظهر أنّ **المعنى الأساس لزيغ القلب** هو ميله وانحرافه عن وجه الصواب، وعدوله عن الحق إلى الضلال واتباع الهوى ونبذ أمر الدين والشريعة.

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج3، ص 162.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج3، ص 169.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص 20.

([4]) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص 80.

([5]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج23، ص 358.

([6]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 354.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانحراف السادس عشر: صرف القلب(الانصراف).

ذَكَرَ القرآن صرف القلب بعبارة صريحة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾(التوبة: 127).

وجاء في كتب التفسير أنّ معنى صرف القلب يدور حول تحوُّل القلب عن الفهم والتدبر والتعقل[1]، وقيل: هي صَدُّ القلب عن الحقّ ونتيجته تكون بالخذلان[2]، وقيل: هي تحوُّل القلب عن الخير[3]، كنتيجة معاكسة لسوء الفعل.

ومما تقدَّم يظهر أنّ **انْصراف القلب** يدور حول معنى تحوُّل القلب من حال الإيمان وصدُّه عن الفهم والتعقل، وانقلابه إلى ما يخالف ذلك من شر ومعصية وخذلان.

الانحراف السابع عشر: التَزْيين القلبي (الظّن العَقَدي السّيء).

جاءت نسبة الظن العَقَدي السيء إلى القلب في القرآن الكريم في مضمون قوله تعالى: ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴾(الفتح: 12)، حيث يظهر من كلام المفسرين للآية أنّ المنافقين ظنُّوا أنْ لن يُنْصَر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، واعتقدوا أنهم لن يرجعوا إلى المدينة سالمين بعد

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج11، ص 69.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 356.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 8، ص300.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غزوة تبوك[1]، كما استدل السعدي بالتزيين في الآية على أنّ هؤلاء النفر يعدُّون من ضعاف الإيمان والمشكّكين بيقين وعد الله ونَصْرِهِ وإعلائه كلمة دينه الذي ارتضى للناس[2].

والذي يظهر من أقوال المفسرين أنّ الإنسان إذا كان منافقاً يظهر الإيمان ويبطن الكفر، كان قلبه يعمل بالسوء ويظن بالله غير الحق، ويشكك في قدرته على نصر أوليائه وإعلاء كلمة دينه. وهذا هو مفهوم هذا النوع من الانحراف في عمليات القلب.

الانحراف الثامن عشر: صَغْو القلب(الميل).

ورد الصَّغْو في آيتين كريمتين في كتاب الله العزيز، أولهما: اقترنت بالقلب وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم: 4)، والثانية اقترنت بالفؤاد وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾ (الأنعام: 113).

ففي الآية الأولى: بيَّن السعدي أن معنى صغت أي انحرفت ومالت، حيث يقول: صغت أي: مالت وانحرفت عما ينبغي من الورع والأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم واحترامه[3]، وعند الألوسي صغت: أي زاغت عن الحق والواجب[4].

وفي الآية الثانية: بين ابن عاشور أنّ معنى تصغى: تميل للاتّباع وقبول القول[5]، ومثله بين القرطبي أنّ أصل الصّغو هو الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض[6].

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 26، ص164.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 792.

([3]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 872.

([4]) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 14، ص 347.

([5]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 8، ص 12.

([6]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص69.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما تقدَّم يتضح أنْ **صَغو القلب** هو ميله وانحرافه عن الصواب والحق، وزوغانه عن الواجب لتحقيق غرض ما.

الانحراف التاسع عشر: عمى القلب.

ربط القرآن الكريم عملية العمى بالقلب صراحة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(الحج: 46).

قيل في تفسير الآية أنّ العمى الحقيقي لا يكون للبصر بل للقلب، وبيان ذلك أن وظيفة رؤية العين هي التأدية إلى الفكرة فيما يشاهده البصر، وأنّ ذلك متوقّف على القلب[1]. قال ابن عاشور: "والَّتِي فِي الصُّدُورِ صفة لـ الْقُلُوبُ تُفِيدُ تَوْكِيدًا لِلَفْظِ الْقُلُوبُ. وَيُفِيدُ هَذَا الْوَصْفُ وَرَاءَ التَّوْكِيدِ تَعْرِيضًا بِالْقَوْمِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِأَفْئِدَتِهِمْ مَعَ شِدَّةِ اتِّصَالِهَا بِهِمْ إِذْ هِيَ قَارَّةٌ فِي صُدُورِهِمْ"[2].

ويتَّضح مما سبق أن المقصود **بعمى القلب** يدور حول غياب الفهم والتعقّل والتفقّه عن القلب.

وفي هذه العملية تحذير للشخصية الإنسانية من تعطيل دور القلب في التغيير الإيجابي للذّات بتقبّل المعتقدات السليمة وإبصار حقيقة المعتقدات الفاسدة. وأنْ تدرك دور القلب في تكوين القناعات الصحيحة لدى الشّخصية، وهذا الدور للقلب مبني على مدى تطهيره من الهوى والشَّخْصَنة والأنا؛ ليكون بعدها محلا صالحا للتفكير الباطني الموصل للحقيقة.

([1]) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج 7،ص 521.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 17، ص 290.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانحراف العشرون: غِلُّ القلب.

ورد غلُّ القلب في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: 10).

وغلّ القلب أي: الحسد والبغض[1]، وهو نقيض المحبة والموالاة والنصح ونحو ذلك مما يكون بين المؤمنين[2].

وفي هذا تربية للشخصية المسلمة على أنْ تكثر من الدعاء الذي له تأثيره الإيجابي في السّلوك القلبي، ومن الدعاء الذي يُخَلِّصها من شوائب وأمراض قلبية قد تضرّ بالعلاقات الاجتماعية للشخصية.

الانحراف الواحد والعشرون: غَمْرة القلب (ظلمه وإعراضه).

وردت غمرة القلب في قول الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ (المؤمنون: 63)، والمقصود بغمرة القلب أي: الجهل والظلم والغفلة والإعراض، وعدم وصول القرآن إلى القلب[3]، وقيل معناها انغماس القلب بما لا يصح مما يبعده عن أنْ يتخلّق بخلق المؤمنين[4]، كما قيل أنّ القلب يكون في حال تغطية وحيرة وعمى عن القرآن[5].

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 28، ص 97.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 851.

([3]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 554.

([4]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 18، ص 80.

([5]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 12، ص 134.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنه يمكن القول أنّ **غمرة القلب** تعني: استغراقه في الجهل والغفلة والظلمة، وإعراضه عن القرآن وما فيه من خير ونصح.

الانحراف الثاني والعشرون: غيظ القلب.

نُسِب الغيظ للقلب في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: 15)، وقيل غيظ القلب هو الحقد والغدر والظلم والكراهية[1]، وقيل هو "الغضب المشوب بإرادة الانتقام"[2]، ويظهر من تفسير الغيظ أنّ معناه يقارب معنى الغل المتقدِّم، إذ أنّ كلاهما يدور حول معاني الظلم والكراهية والحقد.

الانحراف الثالث والعشرون: غَيْن القلب.

ورد غَيْن القلب في السنة النبوية المطهرة، وذلك في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِى، وَإِنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِى الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)**[3].

ويقصد بغَيْن القلب أي "مَا يَتَغَشَّى الْقَلْبَ والْمُرَادُ الْفَتَرَاتُ وَالْغَفَلاتُ عَنِ الذِّكْرِ الَّذِي كَانَ شَأْنُهُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ فَإِذَا فتَرَ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ"[4]، وقيل: الغَيْن هو ما يُغطي ويلبس على القلب، وأصله من الغين وهو الغطاء وكل حائل بين القلب وبين شيء[5]، وقيل: هو الستر المانع من حضور القلب وهو من السهو الذي لا يخلو منه قلب بشر[6].

([1]) الحسيني، محمد رشيد بن علي، تفسير المنار، ج 10، ص 177.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 10، ص 136.

([3]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار، ج4، 2075، ح رقم: 2702.

([4]) النووي، محيي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج 17، ص 23.

([5]) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، معالم السنن شرح سنن أبي داوود، ص 295.

([6]) ابن الملك، محمد بن عز الدين، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، ج3، ص 132.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما سبق يتضح أن **غَيْن القلب** هو الغطاء والغفلة التي تصيب القلب وتفتره عن الذكر، وتمنعه من الحضور والاتصال بالله.

الانحراف الرابع والعشرون: فجور القلب.

جاء ذكر فجور القلب في السنة النبوية المطهرة في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (يا **عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى شَيْئًا**)[1]، والحديث يدل على أنّ الله لا يضره إن كان الخَلْق جميعهم عصاة فجرة، وقلوبهم على أفجر قلب بينهم؛ لأن الله متصّف بالكمال المطلق في صفاته وأفعاله وذاته، فملكه لا نقص فيه بأي وجه من الوجوه[2].

وقد يكون **معنى فجور القلب** هو طغيانه وعصيانه وإصراره على ذلك، وارتكابه لكل فعل فيه من الفحش والسوء ما فيه.

الانحراف الخامس والعشرون: فزع القلب.

ورد ذكر فزع القلب في القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (سبأ: 23).

قيل **الفزع** يعني: "انقباض ونفار يعترى الإنسان من الشيء المخيف"[3]، وقيل: معناه الغطاء وموانع إدراك الحق عن القلب[4]، وقيل: هو الخوف[5]. وقال السعدي: "وقوله: (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) يحتمل أن الضمير في هذا

([1]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج4، ص 1994، ح رقم: 2577.

([2]) الولوي، محمد بن علي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، ج40، ص 401.

([3]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج 22، ص 77.

([4]) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج11، ص 312.

([5]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 14، 295.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضع، يعود إلى المشركين، لأنهم مذكورون في اللفظ، والقاعدة في الضمائر، أن تعود إلى أقرب مذكور، ويكون المعنى: إذا كان يوم القيامة، وفزع عن قلوب المشركين، أيْ: زال الفزع، وسئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالهم في الدنيا، وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل، أنهم يقرون أنّ ما هم عليه من الكفر والشرك باطل، وأنّ ما قال اللّه، وأخبرت به عنه رسله، هو الحق فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وعلموا أنّ الحقّ للّه، واعترفوا بذنوبهم"[1].

وفي هذا دليل على أنه يحصل للقلب حالة من الخوف الشديد تصل إلى مرتبة الفزع بفعل وجود ظواهر خارجية عظيمة القدر والمهابة أو قوية التأثير والرعب بحيث لا يحتملها الإنسان. كما يحدث عند نفخة الفزع التي ينفخ فيها إسرافيل عند بداية قيام الساعة. ولا شك أنّ المؤمن بحاجة في مثل هذه الأحوال والأهوال التي يفزع فيها قلبه إلى من يطمئنه ويسكن قلبه، ولا شك أنّه لا أحد يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، فهو مقلب القلوب سبحانه وتعالى.

الانحراف السادس والعشرون: فساد القلب.

ذُكر فساد القلب في سنة النبي صلى الله علية وسلم في قوله: **(أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ)**[2]، وكما قيل إن القلب الفاسد هو: "القلب الذي فيه الميل على الأهواء المضلّة والشهوات المحرمة، وليس فيه من خشية الله ما يَكفّ الجوارح عن اتباع هوى النفس"[3].

ومما سبق يفهم أنّ **فساد القلب** هو مَيْلُه واتّباعه للشهوات والمغريات من متع الحياة الدنيا وملذّاتها، وهذا ما يؤدي إلى سوء سلوك الإنسان وفعله وانحرافه عن الطريق الصواب.

([1]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 678.

([2]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه، ج1، 20، ح رقم: 52.

([3]) ابن رجب، زين الدين أبي الفرج، فتح الباري، ج1، ص 204.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجب على مناهج التربية أن تعطي موضوع "مفسدات القلب وموغلات الصدر(ما يملأه غلا وحقدا وكراهية)": بياناً ووقايةً وعلاجاً، مساحةً تستحقها في المحتوى التعليمي؛ لكون ذلك يمنع تكوين شخصية غير سويّة من شأنها اتخاذ مواقف سلبية تضر بالفرد والمجتمع.

الانحراف السابع والعشرون: تَشَرّب القلب للفتن.

ورد في السنة النبوية المطهرة ما يثبت أن القلب يتشرّب الفتن ويتقبلّها إذا ما عُرضت عليه وكان فيه استعداد لِتَلقّيها، وجاء ذلك في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ)**[1]، وبيَّن النووي أنّ معنى تشرب القلب للفتن أي: "دَخَلَتْ فِيهِ دُخُولا تَامًّا وَأُلْزِمَهَا وَحَلَّتْ مِنْهُ مَحَلَّ الشَّرَابِ، فمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَبِعَ هَوَاهُ وَارْتَكَبَ الْمَعَاصِيَ دَخَلَ قَلْبَهُ بِكُلِّ مَعْصِيَةٍ يَتَعَاطَاهَا ظُلْمَةٌ، وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ افْتُتِنَ وَزَالَ عَنْهُ نُورُ الإسلام، وَالْقَلْبُ مِثْلُ الْكُوزِ فَإِذَا انْكَبَّ انْصَبَّ مَا فِيهِ وَلَمْ يَدْخُلْهُ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ"[2].

ومنه يظهر أن **تشرّب القلب للفتن** هو استعداده لتلقيها، ومَيْله للأخذ بها والعمل بما فيها.

وعبَّر عنها في الحديث بالتَشَرّب وهي صيغة مبالغة؛ للدلالة على أنّه يقرّها ويأخذ بها حتى تصير لازمة له وسِمة يتسم بها في غالب حاله.

([1]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبا وأنه يأزر بين المسجدين، ج1، ص 128، ح رقم: 144.

([2]) النووي، محيي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج 2، ص 172-173.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانحراف الثامن والعشرون: كفر القلب وتنجُّسه.

ورد كفر القلب في مضمون قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (المائدة: 41).

وبيَّن أهل التفسير أن المذكورين في الآية هم الذين يسارعون في الكفر، وفي هذا إشارة إلى أن قلوبهم لا تحمل سوى الكفر، إذ أنهم يقولون: أمنَّا بأفواههم وقلوبهم لم تؤمن لازالت على كفرها وجحودها بالنبي صلى الله عليه وسلم[1].

أما تنجُّس القلب فيظهر في نفيه تبارك وتعالى عن القلب التطهير في قوله: (لم **يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ**)، وبيّن القرطبي أن في الآية دلالة على أن الله لم يرد أن يطهِّر قلوبهم من الختم والطبع والكفر كما طهَّر قلوب المؤمنين[2].

وكفر القلب هو نقيض إيمانه، فلا يؤمن القلب باطنا بالله أصلا أو يشرك معه غيره، أما **تنجُّس القلب** فهو تغليف القلب وتغطيته وأن يقضي الله عليه بالكفر والطبع والختم.

الانحراف التاسع والعشرون: لهو القلب.

جاء لهو القلب في القرآن الكريم بصراحة في قوله تعالى: ﴿ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾ (الأنبياء: 3)، بيّن

([1]) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج 4، ص 261.

([2]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 182.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الألوسي أنّ معنى لهو القلب هو الذهول والغفلة والإضراب عن الشيء بتركه[1]، ويقول السعدي: "قلوبهم لاهية أي: قلوبهم غافلة معرضة لاهية بمطالبها الدنيوية، وأبدانهم" وأنها لا "تقبل قلوبهم على أمر الله ونهيه، تفقه المراد منه"[2]، وأما القرطبي فبين أن لهو القلب هو الإعراض عن ذكر الله والتشاغل عن التأمل والفهم[3].

ومما سبق فإنه يمكن القول بأنّ **لهو القلب** هو الغفلة والسهو التي تصيب القلب وتشغله عن ذكر الله وتعرض به عن الفهم والتأمل الواعي.

ولا بد للشّخصية الإسلامية من العمل الجاد على منع النفس من الاستغراق في شهوات الدنيا وتعاطي أسباب البعد عن الله تعالى؛ لأن ذلك سبب في إصابة القلب بداء اللهو وشؤم الغفلة، مما ينعكس سلبا على نمط شخصيته التي توصف بالشّخصية المفرطة والضائعة.

الانحراف الثلاثون: نفاق القلب وقصده السّيء.

ورد نفاق القلب في أكثر من آية من كتاب الله العظيم، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ (البقرة: 204)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلۡيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۖ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴾(آل عمران: 167)، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ (النساء: 63)، وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ (التوبة:

([1]) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 9، ص 8.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 518.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 268.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

77)، وآخر المواضع قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ ﴾ (الفتح: 11).

أما **معنى نفاق القلب** فهو كما ورد في الآيات السابقة يعني القول بما لا يوافق الاعتقاد، وأنْ يظهر الإنسان غير ما يُبطن، فهو يظهر الإيمان ويعلنه، ويبطن الكفر والفسق في قلبه؛ أي أن ما يبدونه ليس موافقا لما في قلوبهم، وأن الله يعلم بما في قلوبهم من القصد السّيء حتى إن لم يبدوه[1].

ومثل هذه الشّخصية هي شخصية مريضة تتعاطى مع الآخرين بموازين متعددة، كما أنها شخصية تعيش حالة من التناقض الذّاتي والتنكّر للذّات، فعليها أن تكون ظاهريا بوضعية اجتماعية تختلف تماما عما يجول في داخلها. ولا شك أن هذا مقلق للشخص نفسه ومتعب له، ويحتاج دائما إلى مجادلة النفس، والتظاهر بأنه طبيعي أمام من يتحاور معه. وعليه، فإن المسلم يحذر كل الحذر من أن يظهر بمظهر هذه الشّخصية المتناقضة المنافقة، ويحرص كل الحرص على توافق ظاهره مع باطنه صدقا وقولا وفعلا، وهذا ما يحفظ له احترامه الاجتماعي ويحقق له صحته النفسية.

([1]) يُنظر: القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 3، ص 15، وابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 4، ص 163، والسعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 184، وابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 337.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانحراف الواحد والثلاثون: وجف القلب.

جاء ذكر وجف القلب في آية واحدة من كتاب الله العظيم، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (النازعات: 8)، ويقصد بوجف القلب أي: خوفه[1]، وانزعاجه من شدة ما يرى ويسمع[2]، واضطرابه من حال الذل الذي هو فيه[3].

ويتضح مما سبق أن **وجف القلب** هو الخوف والاضطراب من هول الموقف وشدته.

وبعد عرض ما تقدم من انحرافات في العمليات التربوية للقلب تتعلق بقيامه بعمليات سلبية، فإنه يمكن للباحثة ملاحظة ما يأتي:

1. جاءت انحرافات العمليات التربوية المنسوبة للقلب والفؤاد في كل من نصوص القرآن والسنة، وهي للقلب أكثر منه للفؤاد.
2. جاء عدد انحرافات العمليات التربوية المنسوبة للقلب والفؤاد للقلب كبيرا، إذ بلغ واحداً وثلاثين- قريبا من العمليات الإيجابية- وهو مؤشر قوي على خطورة انحراف القلب ومدى ضرره بالشّخصية، ومواقفها واتجاهاتها.
3. جاءت انحرافات العمليات التربوية المنسوبة للقلب والفؤاد متنوعة، ما بين انحرافات معرفية كالجهل والريب، وعقدية كالكفر، وانفعالية كالفزع والجزع والرعب، وغيرها من التصنيفات الممكنة.
4. جاءت انحرافات العمليات التربوية المنسوبة للقلب والفؤاد تارة مثبتة وهي الأكثر كاللهو، وتارة منفية وهي الأقل كالجهل والغل مثلا.

([1]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج24، ص 193.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 908.

([3]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 30، ص 68.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: سمات القلب السلبية الناتجة عن الانحراف في العمليات التربوية للقلب في ضوء القرآن والسنة.

يختص هذا الجزء من الدراسة ببيان انحراف السّمات التربوية للقلب، التي من المفترض أن تكون نتاج قيامه بالعمليات السلبية المتقدمة في المبحث الأول، وسيتم بحث هذه السّمات السلبية حسبما وردت في آيات القلب–والفؤاد– وأحاديثه محلّ الدراسة، بغية الوصول لتحديدها حسب الفهم العلمي لسياقات النصوص التي وردت فيها.

تمهيد: المقصود بسمات القلب الناتجة عن الانحراف في العمليات التربوية للقلب ومنهجية تحديدها في القرآن والسنة.

انطلقت الباحثة في دراستها للسمات التربوية السلبية للقلب من سياقات النصوص الشرعية في القرآن والسنة، مستندةً في ذلك إلى ما ارتبط بالقلب في آياته وأحاديثه من ألفاظ تصلح لتكون سمات تربوية سلبية للقلب، وتعد هذه العملية تأصيلا إسلاميا للسمات على اعتبار أن الدراسة تعتمد بالدرجة الأولى على القرآن والسنة وتفاسيرهما.

وتعرِّف الباحثة بدايةً **السّمات السلبية للقلب** بأنها: ما يتعلق بالقلب من صفات أو أحوال مخالفة للشرع تدل على سقمه وسوء حاله.

كما تشير الباحثة إلى أن المنهجية المتبعة في بحث السّمات السلبية وبيانها ستكون ذات المنهجية التي اتبعتها في بحث العمليات السلبية في المبحث الأول من هذا الفصل، أي أنها ستعتمد أولاً على الآيات والأحاديث التي تضمنت السّمات، وستقدِّمها كأدلة عليها، ثم ترجع إلى أقوال أهل التفسير والحديث في بيانهم لشرح النصوص، ثمّ التعليق عليها بما يتوافق مع الأقوال.

وتنوه الباحثة إلى أن غرض هذه االمبحث هو تحديد السمات السلبية للقلب، وليس الهدف منه بيان الفروقات بين هذه السمات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد النظر والتحليل للنصوص الشرعية المتعلقة بالقلب تبيَّن أن القلب يتسم بإحدى عشرة سِمة تربوية سلبية نتجت عن العمليات التربوية السلبية التي يقوم بها القلب، وتؤكد الباحثة ما سبق ذكره عند الحديث عن سمات القلب الإيجابية وهو: إن تحديد هذه السّمات السلبية هي عملية اجتهادية؛ فمن خلال دراسة ما يُضاف للقلب والفؤاد في النصوص لوحظ أن قسما منها هو ألصق بكونه سِمة سلبية للقلب أو صفة أكثر من كونه انحرافا يقوم به القلب، فمثلا يمكن تصنيف اشمئزاز القلب من ذكر الله بأنه انحراف في عمليات القلب بينما يمكن تصنيف طمأنينة القلب أو قسوة القلب بأنها سِمة. فكأن السِمة وصف قوي قد تشكل للقلب نتيجة قيامه بعدة عمليات أو نتيجة وجود عدة انحرافات أو عوامل معينة أثرت فيه، وقد يشهد لهذا الحديث النبوي حيث وردت سِمة سواد القلب في قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)**[1]. فواضح منه أن ثمة مؤثرات وعمليات مختلفة تقع على القلب أو تصدر منه وتشكل في النهاية سمات للقلب قد تكون سلبية(سواد)، وأخرى إيجابية (بياض). وفيما يأتي بيان هذه السّمات.

([1]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبا وأنه يأزر بين المسجدين، ج1، ص 128، ح رقم: 144.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السّمات السلبية للقلب:

السِمة الأولى: إقفال القلب.

وردت سِمة الإقفال على القلب في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد: 24)، والمقصود بإقفال القلب أي إغلاقه وعدم إدراكه للمعاني بسبب القسوة[1]، وقيل المراد به: الإغلاق على القلب فلا يدخله الخير أبدا بسبب ما فيه من الشر[2]، وقيل: هي معناها عدم قبول القلب للتفكر والتدبر، وعدم وصول المواعظ والزواجر إليه[3].

وقال ابن القيم أن قفل القلب كالختم عليه، فكلاهما ما لم يُرفعا عن القلب لن يصل إليه شيء من الإيمان أو القرآن[4]، وأن القفل على القلب إذا ما رفع عنه باشرته حقائق الإيمان والقرآن، فعلم ما يحتاجه من علم ضروري من الأمور الوجدانية كالخوف من الله ومحبته[5].

ومما تقدَّم يتضح أن **سِمة قفل القلب** هي سِمة سلبية يعني :إغلاق القلب عن إدراك حقائق الإيمان والقرآن، مما يمنعه من التأثر بما فيهما من مواعظ تثير فيه حب الله وخشيته وغيرها.

السِمة الثانية: أكنة القلب(الغطاء).

وردت سِمة الأكنة أربع مرات في القرآن الكريم، الأولى: في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ (الأنعام: 25)،

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 26، ص 114.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 788.

([3]) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 13، ص 229.

([4]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص 95.

([5]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج 3، ص 437.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والثانية: في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ (الإسراء: 46)، أما الثالثة: ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ ﴾ (الكهف: 57)، وآخرها في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ (فصلت: 5).

ويقصد بالأكنة على القلب أي الغطاء[1]، وهو الحائل الذي يحول دون وصول الدعوة إلى القلب[2]، وقيل هي الأغشية التي تمنع عن القلب فقه القرآن بل تسمعه سماعاً دون وعي[3]، وهذا ما قال به غالب أهل التفسير[4].

وقد بيَّن ابن القيم أن أكنة القلب هي بغضه وإعراضه عن الحق إذا سمعه، حيث يقول: "وهذه الأكنة والوقر هي شدة البغض والنفرة والإعراض التي لا يستطيعون معها سمعا ولا عقلا، وبكل حال فتلك النفرة والإعراض والبغض من أفعالهم"[5].

ومما سبق يتبين أن **سِمة أكِنَّة القلب** سِمة سلبية تعني: الغطاء والغشاء الذي يلف القلب ويعرض به عن الاستفادة مما يسمع من الدعوة والحق، ويحول دون فقهه للأمور على نحو سليم.

([1]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 404.

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 24، ص 233.

([3]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 459.

([4]) ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 173، وابن القيم، محمد بن أبي بكر، تفسير القرآن الكريم، ص 367، والطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 18، ص 52.

([5]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص 56.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السِمة الثالثة: الختم على القلب.

ذكر القرآن العظيم سِمة الختم على القلب في عدة آيات، منها في قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ ﴾ (البقرة: 7)، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾ (الأنعام: 46)، وكذلك وردت في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ (الشورى: 24)، وآخر آية ذكرت الختم على القلب هي قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ (الجاثية: 23).

كما جاء في سنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ما يشير إلى سِمة الختم على القلب، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: **(لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ (تركهم) الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ)**[1].

والمقصود بالختم الوارد في الآيات أي الطبع عليها بطابع فلا يدخلها الإيمان ولا ينفذ فيها، فلا يعي ما ينفعه، ولا يسمع ما يفيده[2]، وهو السدّ والغَلْق على القلب وعدم نفوذ الإيمان والحقّ والإرشاد إليه، وكل ذلك يمنعه من الانتفاع بها كلها[3]، ويقول القرطبي في معنى الختم على القلب أنه: "عَدَمُ الْوَعْيِ عَنِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ مَفْهُومَ مُخَاطَبَاتِهِ وَالْفِكْرَ فِي آيَاتِهِ، وعَدَمُ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ أَوْ دُعُوا إِلَى وَحْدَانِيَّتِهِ"[4]. كما وضَّح النووي أن الختم على القلب كما ورد في الحديث هو التغطية والطبع، ومثله الرين اليسير، وهو إعدام اللطف وأسباب الخير به بخلق

([1]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، ج2، ص 591، ح رقم: 865.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 41.

([3]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 1، ص 255.

([4]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص186.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكفر فيه[1]، وقال آخر: إن معناه هو أن لا يصير في القلب تأهل لقبول الهدى ولا استعداداً لتلقي الأنوار[2]، وقال ثالث: أصله التغطية على القلب ومنعه من الهداية وهو الطبع والتدنيس[3].

ومنه يمكن القول إن سِمة **الختم على القلب** هو سدّه وإغلاقه فلا يدخله إيمان، وتغطيته بحيث لا يعي ما ينفعه، ولا يسترشد بالحق، وهو كالطبع والرّان في المعنى.

السِمة الرابعة: ران القلب وسواده.

جاء وسم القلب بالرّان في القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين: 14)، كما ورد ذكره في السنة النبوية المطهرة في مضمون قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)**[4].

ويقصد بران القلب أي التغطية وما يغشى القلب من عدم الفهم للقرآن، وهو ما يحدث بسبب الأعمال السيئة التي يقوم بها المرء وسلوكه غير السّوي[5]، وقيل: هو ما يصير إليه القلب من عدم وعي للخير أو ثبات على الصلاح بسبب الذنوب التي تتراكم على القلب دون استغفار

([1]) النووي، محيي الدين يحيى، المنهاج شرح صحيح مسلم ، ج 6، ص 152-153.

([2]) الشافعي، محمد علي بن محمد، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ج6، ص 619.

([3]) أبو الفضل، القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج3، ص 264.

([4]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبا وأنه يأزر بين المسجدين، ج1، ص 128، ح رقم: 144.

([5]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 30، ص 199.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منها مع كثرتها[1]، وقيل: هو ما يتركب في القلب ويغلب عليه من حبّ المعاصي واكتساب الكفر، حتى يتحول القلب عن معرفة الحقّ والأخذ به[2].

وقد بيّن القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين: 14) أن الرّان المذكور في الآية هو السواد الذي يصير عليه القلب من تراكم الذنوب فيه وإحاطتها به، وقال في بيانه لذلك أن الرّان هو "الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَسْوَدَّ الْقَلْبُ"، إذ أن" الرَّجُلُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ، فَيُحِيطُ الذَّنْبُ بِقَلْبِهِ، ثُمَّ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحِيطُ الذَّنْبُ بِقَلْبِهِ، حَتَّى تُغْشِيَ الذُّنُوبُ قَلْبَهُ"[3].

أما سواد القلب الوارد في الحديث النبوي الشريف فهو دلالة على كثرة اتباع القلب للهوى وقبوله للفتن التي تؤول به إلى أن يصير أسود من ظلمة اتباع الهوى والشهوات، وقد يكون السواد هو ما يحيك في القلب من ظلم وإعراض عن الحق، وبعد عن الله، ونفي للثبات على الإيمان.

ومما سبق يظهر أن **سِمة الرّان** تعني تغطية القلب بغشاء يمنع عنه الإيمان والخير ويحول دون انتفاعه بالحق، وهو ما وصفه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة **بالسّواد** الناتج عن تراكم الذنوب في قلب الإنسان وتقبله للفتن؛ بسبب عدم اتباعه للحق وتركه للتوبة والإنابة إلى الله، والرجوع إليه بالندم على ما اقترفت نفسه من سوء.

([1]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 260.

([2]) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 15، ص 279.

([3]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 260

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السِمة الخامسة: الطّبع على القلب.

وردت سِمة الطّبع على القلب في القرآن الكريم في عدد من الآيات[1]، منها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (الأعراف: 100)، وقوله تعالى: ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة: 87).

ويقصد بالطبع على القلب حسب ما قال أهل التفسير أنه الختم المانع من دخول الإيمان للقلب[2]، وقيل: معناه هو عدم قبول القلب شيئا غير ما رسخ فيه واستمكن منه[3]، وقيل: هو عدم وعي القلب وتعقله وفقهه للخير والصلاح[4] والموعظة والتذكرة[5].

ومما يشهد على سِمة الطبع على القلب قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (يونس: 88)، حيث قيل أن الشدّ على القلب الوارد في الآية هو الطبع عليها فلا تلين ولا تنشرح بالإيمان[6].

([1]) تكررت سمة الطبع على القلب في القرآن عشر مرات في ثماني سور مختلفة، وهي كالآتي: سورة الأعراف(100، 101)، سورة التوبة(87، 93)، سورة يونس(74)، سورة النحل(108)، سورة الروم(59)، سورة غافر(35)، سورة محمد(16)، سورة المنافقون(3).

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 11، ص 246.

([3]) الحسيني، محمد رشيد بن علي، تفسير المنار، ج 11، ص 379.

([4]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 347.

([5]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 3، ص 451.

([6]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 15، ص 181.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنه يمكن القول: إنّ **سِمة الطبع على القلب** تعني: الختم على القلب، وقد تقدَّم بيان معنى الختم، وأنه يعني الإغلاق والسد على القلب فلا يدخله الإيمان والحق، وهو الشد عليه حتى لا ينتفع بما يسمع من موعظة، ولا يفقه من الخير شيئا.

السِمة السادسة: غفلة القلب.

وردت سِمة غفلة القلب في القرآن الكريم مرة واحدة فقط، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ (الكهف:28).

ويقصد بغفلة القلب أي ذهول القلب عن تذكر الشيء، وذهوله عن التفكر في الوحدانية حتى داخله الشرك[1]، وقيل: هو اشتغال القلب عن العبادة والدين بالدنيا[2]، وقيل: هو خذلان القلب بعدم كتابة الإيمان فيه وخلوه من الذكر والقرآن ودفعه لاتّباع الهوى والاشتغال بالكفر[3]، وقيل: هو الختم على القلب عن التوحيد[4].

ومما سبق يمكن القول: إنّ **غفلة القلب** تعني اشتغاله عن الذكر والقرآن والتفكر والإيمان باتّباع الهوى وتحقيق متع الدنيا وملذاتها الفانية، وسبب ذلك هو غياب التفكير القلبي السليم وعدم حضور القلب عند سماع الذكر.

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 15، ص 306.

([2]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 154.

([3]) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج 7، ص 168.

([4]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 392.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السِمة السابعة: غلاف القلب.

ورد غلاف القلب في آيتين في كتاب الله العزيز، أولهما: قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة: 88)، والثانية: في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: 155).

والمراد بغلاف القلب الوارد في الآيتين هو الغطاء والستار الذي يمنع من وصول ما لا يرغبه القلب، وامتناعه عن تقبل ما لا يتوافق مع الضلال الذي يعيشه، وهو أشبه ما يكون بالأكنّة التي تغطي القلب[1]. وقيل: هو الغطاء الذي يمنع الفقه عن القلب[2]، وقيل: معناه ما يحيط بالقلب مسبباً عدم التعقل والمنع من نفاذ الدعوة إليه[3]، وقيل: هو القلب الذي لا يفقه ما يقال له[4].

ومما تقدَّم يتضح أن **سِمة غلاف القلب** تقارب في المفهوم سِمة الأكنّة، إذ أن كلاهما تعني الغطاء الذي يحول دون إيمان القلب، ويمنعه من التفقه على النحو الصحيح.

السِمة الثامنة: غِلَظ القلب.

وردت هذه السِمة في كتاب الله العظيم، في قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ ﴾ (آل عمران: 159).

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 1، ص 599.

([2]) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 58.

([3]) الحسيني، محمد رشيد بن علي، تفسير المنار، ج 1، ص 313.

([4]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج 1، ص 164.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقصد بغلظة القلب القسوة المنافية للرحمة والرأفة[1]، وقيل: هو "عبارة عن تجهم الوجه وقلّة الانفعال في الرغائب، وقلّة الإشفاق والرحمة"[2]، وقيل: هو القصد الباطني السّيء للقلب وعدم تأثره بشيء[3]، وقيل: هو قلّة الاحتمال والإشفاق وعدم فعل الخير[4].

وقد بيَّن ابن القيم في وصفه للقلب الغليظ أنه قلب لا رحمة فيه ولا خير للآخر، حيث قال ما يأتي: "قلب حجري قاس لا رحمة فيه ولا إحسان ولا بر، ولا له صفاء يرى به الحق، بل هو جبار جاهل: لا علم له بالحق، ولا رحمة للخلق"[5].

ومما سبق يمكن القول بأن خلاصة أقوال أهل العلم في بيان **سِمة غلظة القلب** بأنها قسوة القلب وشدته في التعامل مع الآخر، وخلوّه من الرحمة والشفقة والرأفة.

السِمة التاسعة: فراغ الفؤاد(القلب).

وردت سِمة الفراغ مقترنة بالفؤاد (القلب) في قول الله عز وجل: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(القصص: 10).

والمعنى المراد من **فراغ القلب** الوارد في الآية هو عدم احتواء القلب للمعنى وعدم التفكير فيه[6]، وقيل خلوه من التعقّل والتفكير السليم بسبب الحزن والخوف والجزع الذي يشغله[7]،

([1]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 7، ص341.

([2]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 4، ص 248.

([3]) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 2، ص 318.

([4]) القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج2، 362.

([5]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج 1، ص 53.

([6]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 20، ص 80.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشغله[1]، وقيل: هو خُلوّ القلب من كلّ شيء عدا الأمر الذي يشغله وكذلك خلوّه من الصّبر[2].

ومما يشهد لهذه **السِمة** قوله تبارك وتعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (إبراهيم: 43)، حيث بيَّن أهل التفسير أن معنى **(وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)** أي أن القلوب هواء(فارغة) ليس فيها عقل ولا منفعة، وليس فيها من الخير شيء[3]، والهواء في اللغة كما قال القرطبي: هو المجوَّف الخالي[4].

واستناداً إلى ما تقدَّم فإنه يمكن القول: أن **القلب يتّسِم بالفراغ** (أي أنه يكون خالياً) من الأفكار والمعاني وخلافها إذا ما تعرَّض لموقف مُفزع أو مُحزن.

السِمة العاشرة: قسوة القلب.

ذكر القرآن الكريم سِمة القسوة ونسبها للقلب في آيات عدة[5]، منها: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(البقرة: 74)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾(المائدة: 13).

([1]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج 20، ص 36.

([2]) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 10، ص 259.

([3]) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 17، ص 34.

([4]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 9، ص377.

([5]) تكررت سمة قسوة القلب في القرآن الكريم ست مرات في ست سور مختلفة، وهي كالآتي: البقرة(74)، المائدة(13)، الأنعام(43)، الحج(53)، الزمر(22)، الحديد(16).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعنى المقصود من قسوة القلب أي أنها نقيض اللين وتعني: "عدم قبول التحول عن الحالة الموجودة إلى حالة تخالفها"[1]، وهي في الآيات تعني: "الصّلابة والشدّة واليَبْس وهو عبارة عن خلّوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى"[2].

ومما يشهد بأن القلب يتسم بالقسوة عدة أحاديث وردت في الصحيحين جاء فيها ما يدل على سِمة قسوة القلب، وهي ثلاثة أحاديث:

أولها: قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)**[3]، حيث يدل هذا الحديث على أنّ القلب قد تنزع منه الرحمة وهذا إشارة إلى أنه قد يتسم بالقسوة.

وثانيها: قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: **(تُنْتَهَكُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَشُدُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلُوبَ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَيَمْنَعُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ)**[4]، والشدّ كما هو معلوم يشير إلى معاني القسوة والصلابة، وفي هذا دلالة على سِمة قسوة القلب.

وأما الثالث: فهو قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يَكُونُ بَعْدِى أَئِمَّةٌ لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَاىَ وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِى، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِى جُثْمَانِ إِنْسٍ)**[5]،

([1]) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج 1، ص 562.

([2]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص462.

([3]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج8 ،ص 7، ح رقم: 5998.

([4]) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجزية، ج4، ص10، ح رقم: 3180.

([5]) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ج3، ص1476، ح رقم: 1847.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيه أن المقصود ب **(قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ)** أي: أن قلوبهم مظلمة وقاسية يداخلها الشّك والتلبيس والفساد[1]، وفي هذا التفسير بيان وإشارة واضحة إلى القسوة التي قد تصيب القلب.

ومما سبق يتبين أن **سِمة قسوة القلب** تعني: شدّته وصلابته غير المرغوبة، وخُلُوّه من الإنابة إلى الله والخوف منه وخشيته.

ومما يجب الحذر منه أن يصل المسلم إلى مرحلة قسوة قلبه؛ لأنها مرحلة تحرمه من خير كثير، كما تسبب له وعيد الله تعالى. وحتى يحمي نفسه من هذه المرحلة عليه أن يبقى ملازما لذكر الله وعاملا للطاعات ومنيبا إلى ربه سبحانه وتعالى، فالإنابة تحافظ على حيوية القلب الإيمانية.

السِمة الحادية عشرة: مرض القلب.

وردت سِمة مرض القلب مرات عديدة[2] في كتاب الله العزيز، منها قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة: 10)، وقوله تعالى: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ (المائدة: 52)، وقوله عز وجل: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ (الأنفال: 49).

ويقصد بمرض القلب الوارد في الآيات الكريمة أنه ما يطرأ على القلب من ضعف في الإدراك والتعقل لفهم حقائق الدين وأسراره، بسبب الجهل والنفاق والشك والارتياب والحسد والضغينة، وغيرها مما يفسد الاعتقاد والأخلاق[3].

([1]) القاري، علي بن محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج8، ص 3380.

([2]) تكررت سمة مرض القلب في القرآن الكريم اثنتا عشرة مرة في تسع سور مختلفة، وهي كالآتي: البقرة(10)، المائدة(52)، الأنفال(49)، التوبة(125)، الحج(53)، النور(50)، الأحزاب(12، 32، 60)، محمد(20، 29)، المدثر(31).

([3]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج 1، ص 51.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما قيل إنّ المقصود بمرض القلب هو فساد الاعتقاد بالتكذيب والجحود، ويظهر ذلك في خلوّ القلب من العصمة والتأييد والرعاية والتوفيق[1].

كما بيَّن ابن تيمية أن مرض القلب هو "نوع فَسَاد يحصل لَهُ يفْسد بِهِ تصَوره وإرادته، فتصوره بِالشُّبُهَاتِ الَّتِي تعرض لَهُ حَتَّى لا يرى الْحق أَو يرَاهُ على خلاف مَا هُوَ عَلَيْهِ، وإرادته بِحَيْثُ يبغض الْحق النافع وَيُحب الْبَاطِل الضار، فَلهَذَا يُفَسر الْمَرَض تَارَة بِالشَّكِّ والريب"[2]، وأنّ مرض القلب "أصل محبَّة النَّفس لما يَضرّهُا"[3].

كما وضَّح ابن القيم أن مرض القلب هو تلك العلّة والخلل الحاصل في القلب بسبب ميله تارة للخير وتارة للشر، حيث قال: "إن القلب المريض هو "قلب له حياة وبه علّة؛ فله مادتان تمدّه هذه مرة وهذه أخرى، وهو لِمَا غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه: ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحبّ العلو والفساد في الأرض بالرياسة: ما هو مادة هلاكه وعطبه وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة وداع يدعوه إلى العاجلة وهو إنما يجيب أقربهما منه بابا وأدناهما إليه جوارا"[4]. وفي كلام ابن القيم هذا فوائد تربوية وتوجيهات عديدة لمن تأمله لكونه أشار إلى المصادر الحقيقة لمرض القلب.

ومما سبق يتضح أن **سِمة مرض القلب** يدل على عِلّة حصلت للقلب بسبب خلل وفساد في الاعتقاد، ويكون هذا المرض إما شك أو نفاق أو جحود وما إلى ذلك من المعاني السّلْبية التي قد تحول دون استقرار القلب.

([1]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 197.

([2]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، أمراض القلوب وشفاؤها، ص 4.

([3]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، أمراض القلوب وشفاؤها، ص 24.

([4]) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج1، ص 7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمكن للباحثة تسجيل الملحوظات الآتية على مجموعة السّمات السّلبية للقلب– والفؤاد– المتقدمة:

- أن هذه السّمات السلبية التي نسبت للقلب وللفؤاد وردت في نصوص القرآن والسنة، وهي في نصوص القرآن أكثر.
- أن مجمل هذه السّمات القلبية السّلبية يدور معناها على الوصول بالقلب إلى مرحلة من الإغلاق والإطباق، بحيث يبدو القلب كأنه تمّ تغليفه بغلاف شديد الكثافة يمنع تسرّب ما يصلُ إليه ودخوله فيه وانتفاعه به. ولذلك وردت عدة صفات متقاربة المعنى في هذا الخصوص، منها: الإقفال والأكنة والغلاف والطبع والختم.
- أن أغلب السّمات السلبية للقلب فيها إشارة واضحة لكونها تبلورت في الشّخصية المنحرفة بفعل قدرة الله تعالى كعقوبة ربانية لأصحابها، مثل الطبع والختم.
- أن حمل القلب لهذه السّمات السلبية يدل على ما أثبته القرآن من أن القلب يمرض ويصاب بعلل تصبح ملازمة له، تماما كأنها صفة من صفات الذات.
- أن أغلب هذه السّمات فيها تنبيه يدعو للحذر الشديد من الحيلولة بين القلب والانتفاع بخبر الوحي وذلك بسبب المعاصي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع: تطبيقات تصور القرآن والسنة للقلب في بِنْية الشّخصية من حيثُ فقهُ سلوكِها.

تمهيد:

المبحث الأول: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ العلاقة بين السّلوك القلبي والظاهري.

المبحث الثاني: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ العوامل المؤثرة في سلوك الشّخصية الباطني(القلبي).

تمهيد:

أولا: العوامل الإيجابية.

ثانيا: العوامل السّلبية.

المبحث الثالث: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ إمكانية تعديل السّلوك القلبي.

المبحث الرابع: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ أثر السّلوك القلبي في تصنيف الشّخصية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع: تطبيقات تصور القرآن والسنة للقلب في بِنْية الشّخصية من حيثُ فِقهُ سلوكِها.

تمهيد:

يتناول هذا الفصل جانباً من التطبيقات المتعلّقة في بِنْية الشّخصية الإنسانية من منظور تربوي نفسي إسلامي، يُظْهر أثر ما تقدم من تصور للقلب مستمد من نصوص القرآن والسنة، وما يمكن التوصل إليه بإمعان النظر في تلك النصوص ذاتها التي تكشف عن مزيد من الفهم لتلك العمليات التربوية المرتبطة بالقلب إيجاباً أو سلباً (الانحراف)، وما تنطوي عليه من معطيات في فقه سلوك الشّخصية الإنسانية المتعلق بطبيعة التصور عن بنيتها الظاهرة والباطنة.

وسيدرس هذا الفصل تلك التطبيقات المتعلقة بالشّخصية الإنسانية من خلال محاور أربعة، تركز جميعها على فقه السّلوك القلبي(العمليات) من حيثُ علاقته بالظاهر والعوامل المؤثرة فيه وتعديل السّلوك القلبي وتصنيف الشّخصية بناء عليه.

ولا شك أن مثل هذه التطبيقات تقدم مزيدا من التوضيح للنظرية الإسلامية في فهم الشّخصية وبنيتها وسلوكها من منظور نفسي إسلامي، بحيثُ تؤكد في المجمل أن هذه الشّخصية لا تقتصر بنيتها على التركيبة الظاهرية فقط، كما أنها لا تنظر إلى التركيبة الباطنية للشخصية وتحديداً مكون القلب على أنه مجرد عضو مادي يقوم بوظائف بيولوجية؛ بل هو بالإضافة لذلك عضو فاعل في رسم ملامح الشّخصية والتعبير عن طبيعتها، والقيام بعشرات العمليات (السّلوكيات) التي لا تعمل منعزلة عن باقي مكونات الشّخصية؛ بل تتفاعل معها وتتأثر بها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتؤثر فيها، مع اختصاص القلب بجملة من العمليات التي لا يمكن لغيره من أعضاء الجسم القيام بها كما تقدم بيان ذلك في الفصلين السابقين.

مدخل مفاهيمي:

تتطلب المنهجية العلمية التعريف بالمصطلحات الأساسية المتعلقة بفصل التطبيقات بشكل عام قبل الشروع في بيان مباحثه. وهذه المصطلحات هي:

4- مصطلح الشّخصية:

من تعريفات "الشّخصية الإنسانية" المشهورة في ميدان علم النفس ونظريات الشّخصية الغربية، تعريف "جوردون البورت" الذي يقول فيه: "الشّخصية هي التنظيم الدينامي داخل الفرد لتلك الأجهزة النفسجسمية التي تحدّد سلوكه وفكره المتميزين"[1]. وتعريف "كاتل" الذي يقول فيه: "الشّخصية هي تلك التي تتيح لنا تنبؤاً بما سوف يعمله الشخص في موقف معين"[2]. وأما من وجهة نظر الباحثين المسلمين في ميدان الشّخصية، فتعرف التل الشّخصية بأنها: "وحدة متكاملة ناتجة عن تفاعل شديد التعقيد بين مكوني الجسد والروح. وهي كيان مستقل يميز صاحبه عن غيره من البشر من حيثُ الفكر(المعتقد) والانفعالات (العواطف والمشاعر والميول والاتجاهات) والسّلوك. وتشمل المجموع الكلي المتكامل للجوانب الجسمية والعقلية والانفعالية والروحية للإنسان في تفاعله المعقد مع البيئة الطبيعية والاجتماعية، منذ ولادته وحتى مماته"[3]، كما يعرّف خطاطبة الشّخصية الإنسانية بأنها "منظومة سمات الإنسان ومكوناته وتفاعلاتها والعوامل المؤثرة

---

[1] طه، فرج عبد القادر، أصول علم النفس الحديث، ص273.

[2] جابر، جابر عبد الحميد، نظريات الشّخصية، ص259.

[3] التل، شادية أحمد، الشّخصية من منظور نفسي إسلامي، ص19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيها ومواقفها السّلوكية"[1]. وترى الباحثة أن تعريف التل وخطاطبة هما الأقرب لدراستها لشموليتهما.

5- مصطلح "بِنْية الشّخصية":

ويقصد به مكونات الشّخصية وعناصرها الأساسية البانية لها، وهي تشمل المكون المادي والمكون الروحي، أو العناصر الأساسية الأربعة: الجسم والروح والعقل والقلب. وهي مكونات وعناصر ممتزجة ومتفاعلة[2]. ويعد القلب في التصور الإسلامي من العناصر الأساسية المكونة لبِنْية الشّخصية، ولا بد من إعطائه مكانته ودوره عند محاولة فهم الشّخصية وما يصدر عنها.

6- مصطلح السّلوك:

يعرف السّلوك في الاصطلاح العام بأنه: "كل الأفعال والتصرفات التي تصدر عن الفَرْد في مواقف الحياة المختلفة"[3]. وبأنّه "كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد ظاهرة كانت أم غير ظاهرة"[4]. وبأنّه "الأنشطة والتفاعلات التي يقوم بها الفرد لتحقيق غايات معينة"[5].

ويعبر عن مصطلح السّلوك في النصوص الشرعية "بمصطلح العمل، ويقصد به: جميع الأفعال أو الاستجابات أو ردود الفعل التي تصدر عن الإنسان، سواءً كانت ظاهرية أم باطنية،

---

[1] خطاطبة، عدنان مصطفى، بِنْية الشّخصية الإنسانيّة ومحدّداتها وسِماتها عند ابن تيميّة، ص7.

[2] التل، شادية أحمد، الشّخصية من منظور نفسي إسلامي، ص69-74، ونجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، ص203، والشريفين، عماد، نحو بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني، ص174، وخطاطبة، عدنان مصطفى، بِنْية الشّخصية الإنسانيّة ومحدّداتها وسِماتها عند ابن تيميّة، ص7.

[3] علي، علي أحمد، أساسيان سلوك الإنسان، مكتبة عين شمس، ص26.

[4] الخطيب، جمال، تعديل السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح، ص17.

[5] سليمان، حسين حسن، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية، ص47.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسواء كانت الأعمال صالحة أو غير صالحة"[1]. وبعد دراسته لمفهوم السّلوك(العمل) في النصوص الشرعية عرّفه خطاطبة بأنه: "جميع النشاطات والاستجابات الباطنة والظاهرة التي تصدر عن النفس الإنسانية، ويشمل السّلوك الباطني، ومحلّه القلب بانفعالاته وعملياته، والسّلوك الظاهري، ومحلّه الجوارح بأقوالها وأفعالها، فالمحبة سلوك، والضَرْب سلوك"[2]. فسلوك الشّخصية الإنسانية المرتبط بالنظرة الإسلامية إلى الطبيعة الإنسانية من حيثُ بنيتها ومكوناتها، يُفهم على أنه "محصلة التفاعل بين المكونين المادي والروحي للنفس"[3]. والدراسة هنا تسير مع التوجهات التي تعرف السّلوك في إطار التصور الإسلامي ونظرته للشخصية الإنسانية وبنيتها. وفيما يأتي اجتهاد الباحثة في تقديم جملة من التطبيقات من خلال عدد من المباحث.

المبحث الأول: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري.

تمهيد:

يقصد بمفهوم السّلوك في هذا الموضع من الدراسة كل نشاط تقوم به الشّخصية الإنسانية، وبالنسبة للقلب، فسلوكه هو كل ما ينسب إليه (القلب) من نشاط ما في سياق النصوص الشرعية. وفي التصور الإسلامي فإن السّلوك الإنساني قد يكون ظاهريا وقد يكون باطنيا. وذلك راجع إلى حقيقة التصور الإسلامي عن بِنْية الشّخصية، وهي لها أربعة مكونات: القلب والروح والعقل والجسم[4]. ويتخصص هذا المبحث بدراسة العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري للشخصية ذاتها من خلال ما تُظهره تلك النصوص الشرعية المتعلقة بالقلب –

---

[1] التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، ص58.

[2] خطاطبة، عدنان مصطفى، الأصل النفسي للتربية الإسلامية، ص22.

[3] توفيق، محمد عزّ الدين، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص53.

[4] ينظر: التل، شادية، الشّخصية من منظور نفسي إسلامي، ص69-76.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والفؤاد– التي سبق تحليل ما تضمنته من عمليات (سلوكات) قلبية. وهذا النوع من التحليل يشير للعلاقة بين مكونات أساسية في بِنْية الشّخصية وهي مكون القلب ومكون الجوارح(الجسم) وما يصدر عن كل منهما من سلوكات.

وتؤكد الباحثة أن التحليل هنا يتركز على وجود السّلوكيْن الاثنين(الباطني والظاهري) في الشّخصية الواحدة نفسها وليس من طرف خارجي فذاك يعد عاملا مؤثرا. وهذا مهم جدا في تحديد النصوص المعنية بالتطبيق. كما أن تحليل أوجه وصور العلاقة يتصل بكل الصور ذات الصلة بالسّلوك القلبي تحديداً. فممكن أنْ تكون مع الجوارح الظاهرة وممكن أن تكون مع الجوارح الباطنة ومنها القلب نفسه.

والهدف من هذا التطبيق إثبات فكرة وجود العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري وليس استقصاء جميع صور وأنماط ومسائل ومحددات العلاقة بين السّلوك الباطني(القلبي) والظاهري. كما أن الباحثة تستخدم لفظي السّلوك الباطني والسّلوك القلبي بالمعنى نفسه في هذا السياق. وفيما يأتي عرض لتلك الصور من العلاقة حسب ما توصلت إليه الباحثة.

من صور العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري:

- **العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري الاجتماعي.** وهذا واضح كما في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(آل عمران: 159). فوجود سلوك الغلظة القلبية في الشّخصية المسلمة يؤدي لابتعاد الناس من حوله ونفورهم من مجالسته، وفي هذا إضعاف لعلاقاته الاجتماعية مع أطياف المجتمع من حوله. وهنا العلاقة بين سلوك قلبي سلبي(غلظة القلب) وسلوك اجتماعي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سلبي(النفور) كذلك في الشّخصية. وبالمقابل هناك من النصوص ما تثبيت وجود علاقة بين السّلوك القلبي الإيجابي والسّلوك الاجتماعي الإيجابي، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (آل عمران: 103). فهنا سلوك تأليف القلب وهو إيجابي؛ أدى لوجود سلوك المحبة والشعور بالأخوة في شخصية المسلم، مما انعكس إيجابيا على علاقاته الاجتماعية.

- **تأثير السّلوك الظاهري السلبي في السّلوك الباطني.** وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 283). فالآية تشير إلى أن السّلوك الظاهري السلبي للشخصية والمتمثل بكتمان شهادة الحق في تعاملاته مع الناس؛ يؤدي إلى سلوك سلبي يقع للقلب وهو إثمه وارتكابه للخطأ. قال البغوي: "نهى عن كتمان الشهادة(سلوك ظاهري) وأوعد عليه فقال (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) أي فاجر قلبه(سلوك باطني)"[1].

- **تأثير السّلوك الباطني(القلبي) في السّلوك الظاهري.** وهذا ظاهر من قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص: 10). قال الشوكاني: "أي إنها كادت لتظهر أمر موسى، وأنه ابنها من فرط ما دهمها من الدهش والخوف والحزن. لولا أن ربطنا على قلبها: بإلهام الصبر"[2]. فالسّلوك الظاهري هنا هو محاولة أم موسى إظهار حقيقة أن هذا هو ابنها

---

[1] البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ج1، ص353.

[2] الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج5، ص398.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واسمه موسى، والسّلوك الباطني هو صبر القلب، وهو الذي أثر في شخصيتها فمنعها من السّلوك الظاهري. "وجواب لولا محذوف، أي لولا أن ربطنا على قلبها لأبدت"[1]. وهذا الدليل والذي قبله يؤكدان أن السّلوك في نظرية الشّخصية الإنسانية من المنظور النفسي الإسلامي الصادر عن الشّخصية هو سلوك تفاعلي بين مكونات بِنْية الشّخصية الظاهرة والباطنة، وأن علاقة التأثر والتأثير متبادلة.

- **العلاقة الإيجابية بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري والباطني معا.** ودليل هذا هو قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح: 4). فإنّ سكينة القلب– وهي سلوك إيجابي– قد أدت لتولّد سلوك إيجابي آخر على مستوى باطن الشّخصية من الرضا، وسلوك ظاهري من الطاعة، وهو المقصود بسلوك زيادة الإيمان. يقول السعدي: "يخبر تعالى عن منّته على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة(سلوك قلبي)، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة(سلوك باطني)، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال(سلوك ظاهري)، فيزداد بذلك إيمانه"[2].
- **السّلوك القلبي مصدر للسلوك الظاهري.** ودليل هذا قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج: 32). يقول السعدي: "والمراد بالشعائر: أعلام الدين

---

[1] الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج5، ص398.

[2] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص791.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الظاهرة، ومعنى تعظيمها، إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب"[1].

- **تأثير السّلوك القلبي السلبي في السّلوك السلبي: الباطني والظاهري.** وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة: 10). فهنا وجود السّلوك القلبي السلبي في الشّخصية وهو مرض القلب من الشك والشبهة والرياء، أدى لازدياد السّلوك الباطني والظاهري، مثل: الشك والريبة والرجس وارتكاب المعاصي والنفاق الصادر منهم[2].

- **اتفاق السّلوكات الظاهرة بسبب اتفاق السّلوكات القلبية(الباطنة).** ودليل هذا قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة: 118)، قال أبو السعود: "(وَقَالَ الذين لاَ يَعْلَمُونَ) حكاية لنوعٍ آخرَ من قبائحهم (مشركي العرب) وهو قدحُهم في أمر النبوة بعد حكاية قدحِهم في شأن التوحيد بنسبة الولدِ إليه سبحانه وتعالى، (كذلك قَالَ الذين مِن قَبْلِهِم) من الأمم الماضية (اليهود والنصارى) (مِّثْلَ قَوْلِهِمْ) هذا الباطلِ الشنيعِ. (تشابهت قُلُوبُهُمْ) أي: قلوبُ هؤلاءِ وأولئك في العمى والعِناد وإلا لما تشابهت أقاويلُهم الباطل"[3]. وعليه، فإنه قد يقع اتفاق في نوع المواقف الظاهرية الصادرة عن عدد من الأشخاص وذلك لما في قلوبهم من تشابه فيما هي عليه من سلوكات

---

[1] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص538.

[2] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص79، والبغوي، معالم التنزيل، ج1، ص64، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص791.

[3] أبو السعود، محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج1، ص190.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسمات. وهذا أمر مهم في تحليل السّلوك الإنساني، وخاصة في الظواهر الاجتماعية أو المواقف الجماعية.

- **السّلوك القلبي السلبي مصدر للسلوك الظاهري السلبي. ودليل ذلك، قول الله تعالى:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ ﴾(آل عمران:7). فالسّلوك الظاهري السّلبي للشخصية والمتمثل باتّباع الآيات المتشابهة والمشكلة المعنى في ظاهرها نتج عن وجود سلوك باطني سلبي في تلك الشّخصية وهو الزيغ. وهذا كذلك كما في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)**[1]. فلما كان سلوك الرحمة قد خرج من القلب ليحل محله سلوك الغلظة والقسوة؛ صدر عنه سلوك ظاهري سلبي تمثل في عدم تقبيل الأطفال. فدل هذا على أن السّلوك القلبي له علاقة قوية بالسّلوك الظاهري إيجاباً وسلباً في شخصية الإنسان.

- **تناقض السّلوك الباطني مع السّلوك الظاهري للشخصية.** وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ (المائدة: 41)، حيثُ تناقض سلوك الإيمان لجارحة اللسان مع سلوك الرفض والإنكار للقلب. وهذا من سمات الشّخصية المنافقة في المجتمع. ومثال آخر على حالة التناقض بين السّلوك الظاهري والباطني للشخصية هو قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج8 ،ص 7، ح رقم: 5998.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ (الفتح: 11).

- **قوة تأثير السّلوك القلبي في السّلوك الظاهري للشخصية.** ودليله قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ (المائدة: 52)، فنتيجة لتمكن السّلوك القلبي السلبي (المرض) من شخصية المنافق، جاء سلوكه الظاهري السلبي بالمسارعة للانضمام للكفار، يقول ابن كثير: "(فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)، أي: شك، وريب، ونفاق (يُسَارِعُونَ فِيهِمْ)، أي: يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر، (يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) أي: يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى"[1].

- **انسجام السّلوك الظاهري السلبي مع السّلوك القلبي السلبي.** وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: 49)، فالسّلوك الظاهري الصادر من الشّخصية المنافقة والمتمثل بالطعن بدين أهل الصلاح انسجم مع ما في قلوبهم من سلوك مرضي سلبي.

- **انسجام السّلوك الظاهري الإيجابي مع السّلوك القلبي الإيجابي. ومثاله قوله تعالى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾(المؤمنون: 60)، فانسجم سلوك العبادات والأعمال الصالحة الصادرة عن شخصية المؤمن مع ما في قلبه من سلوك إيجابي إيماني يتمثل بوجل القلب.

---

[1] ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص132.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **تأثير السّلوك الظاهري المادي في السّلوك القلبي النفسي.** وهذا يؤخذ من قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ)**[1]. والتّلْبينة هي حساء يعمل من دقيق أو نخالة ويجعل فيه عسل أو لبن، سميت تلبينة تشبيهاً لها باللبن في بياضها ورقته، ومعنى تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ أنها تريح فؤاده وتزيل عنه الهم وتنشطه[2]. فدلّ هذا على أن سلوك القلب النفسي قد تأثر بالوضع الإيجابي؛ بسبب قيام الشّخصية بسلوك ظاهري مادي كتناول الطعام النافع له(الدواء) في حال المرض.
- **كون السّلوك القلبي السّوي أساس السّلوك الظاهري السّوي، والسّلوك القلبي غير السّوي أساس السّلوك الظاهري غير السّوي.** ويدل على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلّه، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلّه أَلا وَهِيَ الْقَلْب)**[3]. فَبَيَّنَ الحديث أَنَّه بِصَلاحِ الْقَلْب يَصْلُح بَاقِي الْجَسَد، وَبِفَسَادِهِ يَفْسُد بَاقِيه، فصَلاح الْجَسَد وَفَسَاده تَابِعَانِ لِلْقَلْبِ[4]. وَفِي هَذَا الْحَدِيث مبدأ تربوي أصيل، يتمثل بضرورة أن تهتم المناهج التربوية بالتربية القلبية، وتقديم المحتوى التربوي الذي من أهدافه الأساسية العمل على صلاح القلب الذي من شأنه صلاح شخصية المتعلم، يقول النووي عن هذا الحديث: وفيه "تَأْكِيد عَلَى السَّعْي فِي صَلاح الْقَلْب وَحِمَايَته مِنْ

---

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب التلبينة للمريض، ج7، ص124، ح رقم: 5689.

(2) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج10، ص146.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، ج 1، ص20، ح رقم 52.

(4) النووي، محي الدين يحي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج5، ص469.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْفَسَاد"[1]. ويقول ابن حجر: "وخصّ القلب بذلك لأنه أمير البدن وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه"[2].

إن هذه الصور التي قدمتها الباحثة في التحليل لأوجه العلاقة بين السّلوك القلبي والسّلوك الظاهري- وهي ليست على سبيل الشمولية- تُظهر سلامة التصور التربوي الإسلامي للشخصية الإنسانية وبنيتها- المتكونة من عناصر باطنة وعناصر ظاهرة، فيها المادي والمعنوي- من أنّ فهم السّلوك الصادر عن الشّخصية يجب أن يكون ضمن هذا الفهم المتكامل لبِنْية الشّخصية التي تعمل بشكل متفاعل ومتناغم يؤثر كل عنصر منها في الآخر، وأنه في هذا الإطار يجب تفسير سلوك الشّخصية؛ لأن بِنْيتها التي تصدر عنها السّلوكات هي بِنْية متفاعلة منتظمة وليست منفصلة العمل والعلاقة عن بعضها بعضا. وفيما تقدم من تطبيقات تتعلق بسلوك الشّخصية وبنيتها تؤكد بما لا شك فيه علاقة باطن الشّخصية بظاهرها في التصور النفسي الإسلامي المستمد من القرآن والسنة.

المبحث الثاني: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ العوامل المؤثرة في سلوك الشّخصية الباطني(القلبي).

تمهيد:

يُعنى هذا المبحث بالتطبيقات المتعلقة بتحديد العوامل المؤثرة في السّلوك القلبي للشخصية، فقد وجدت الباحثة من خلال تتبعها للسياقات المتعلقة بتحليل العمليات التربوية للقلب أنّ هناك مجموعة من العوامل تتصل بهذه العمليات(السّلوكات)، وأنه كان لهذه العوامل الأثر المباشر في تولّد السّلوك(العملية أو الانحراف) القلبي(الباطني). وكانت عملية رصد هذه العوامل

---

[1] النووي، محي الدين يحي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج5، ص469.

[2] ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص128.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتحديدها هي عملية اجتهادية استنتاجية جاءت بعد إمعان النظر في تلك النصوص الشرعية المتعلقة بالعمليات القلبية تحديداً. وهي تعد من التطبيقات الأساسية في مجال دراسة الشّخصية الإنسانية وبنيتها وسلوكها الصادر عنها؛ لأنه من المعلوم أن من مباحث الشّخصية الرئيسة من المنظور النفسي تلك المتعلقة بدراسة العوامل المؤثرة في الشّخصية التي تقسم إلى عوامل وراثية وعوامل بيئية[1].

وجاء هذا التطبيق ليدرس العوامل المؤثرة في سلوك الشّخصية ضمن دائرة العمليات(السّلوكات) القلبية، وتعد دراسة العوامل المؤثرة في السّلوك القلبي للشخصية من الدراسات الدقيقة والفريدة في باباها– في حدود علم الباحثة– ولعل ذلك راجع إلى طبيعة هذه الدراسة الخاصة بالعمليات القلبية، وتحديداً إلى التصور الإسلامي للقلب النابع من القرآن والسنة، حيثُ تضمنت النصوص المتعلقة بالعمليات القلبية تصورا حول العوامل المؤثرة في السّلوك القلبي.

وستلتزم الباحثة بمنهجية الدراسة وحدودها التي سارت عليها في مباحث الدراسة جميعها من حيثُ إجراء هذا التطبيق في إطار النصوص الشرعية التي تحدثت عن العمليات القلبية وانحرافاتها، وأن يكون التحليل للعوامل ضمن سياقات هذه النصوص. وبما أن النصوص– وكما تقدم بحثه قد جاءت بعمليات تربوية إيجابية للقلب وأخرى انحرافات في تلك العمليات، فإن الباحثة قد اجتهدت في تقسيم هذه العوامل إلى قسمين: أحدهما: عوامل إيجابية وثانيهما: عوامل سلبية، وفيما يأتي بيان ذلك:

---

[1] في دراسات علم نفس النمو ونظريات الشّخصية، فإن العوامل المؤثرة في الشّخصية الإنسانية تقسم إلى قسمين: عوامل النضج أو الوراثة أو البيولوجية، وعوامل البيئة أو الخبرة، وهي كل العوامل المؤثرة في شخصية الإنسان ما عدا عامل الوراثة أو النضج. التل، شادية، علم النفس التربوي في الإسلام، ص19، وسليم، مريم، علم نفس النمو، ص20–23، والتل، شادية، الشّخصية من منظور نفسي إسلامي، ص122–132.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: العوامل الإيجابية المؤثرة في سلوك الشّخصية الباطني (القلبي).

يقصد بهذه المجموعة من العوامل: ما ظهر في سياقات النصوص الشرعية المتعلقة بالعمليات الإيجابية للقلب من محدّدات وموجهات ومؤثرات في سلوك القلب إيجابا(عمليته الإيجابية التي ظهرت فيه). وقد اجتهدت الباحثة في تحديد أكبر عدد منها– وليس على سبيل الحصر؛ لأن المقصود إظهار فكرة التطبيق– ضمن العوامل الآتية التي تبينها بشكل مجمل دون الدخول في التفصيلات نظرا لطبيعة البحث ومساحته، كما ولن تلجأ إلى تفسير النّص إلا إذا كانت دلالته على المقصود(وهو إبراز العامل ودوره) غامضة، وفيما يأتي بيان لهذه العوامل:

1– **الالتزام بأحكام الشرع:** وتحديداً التقيد بضوابط الاختلاط. كما في قول الله تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب: 53). فالتزام شخصية المسلم بضوابط الاختلاط مع الجنس الآخر يؤثر بشكل واضح في سلوكه القلبي، إذ يطهر ذلك قلبه وقلب الطرف الآخر ويزكيهما.

2– **الامتحان والابتلاء والتمحيص:** كما في قول الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (الحجرات: 3)، وقوله تعالى:﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾(الأحزاب:10)، وقوله تعالى:﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران: 154). وهنا العوامل المؤثرة في سلوك القلب أشكال من الابتلاء من الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وفتنة العدو والتخويف من الموت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- **الإيمان بالله والعقيدة الصحيحة:** كما في قول الله تعالى:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ (التغابن: 11)، وقوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾(الحج: 54). فإيمان الشخصية المسلمة بأن المصائب قدر مقدور من عند الله يؤثر في تولد سلوك الهداية والطمأنينة القلبية.

4- **الدعاء:** كما في قول الله تعالى:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾(آل عمران: 8) ، وقوله تعالى:﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (الحشر: 10)، وقول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ...**مِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ**) [1]، وقول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ **اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا**)[2]، وقول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**وَنَقِّ قَلْبِي** مِنْ الْخَطَايَا) [3]. وهذا العامل مهم جدا وتكاد تتفرد به التربية الإسلامية، من جهة أنها تجعل دعاء الله تعالى من العوامل القوية المؤثرة في السّلوك الباطني (القلبي) للشخصية.

5- **ذكر الله:** وهو من العوامل الحاضرة بقوة في النصوص، وذات التأثير القوي في السّلوك القلبي لشخصية المسلم، وذكر الله تعالى هنا هو بمفهومه الشمولي من القرآن والأذكار ومشاهدة أسماء الله وصفاته الحسنى في الأنفس وفي الآفاق، وهذا ظاهر كما في قوله

---

[1] مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل، ج4، ص2088، ح رقم: 2722.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه الليل، ج8، ص 69، ح رقم: 6316.

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم، ج8، ص79، ح رقم: 6368.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(الحج: 35)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (الأنفال: 2)، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(الرعد: 28)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾(الحديد: 16)، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ﴾ (الزمر: 23). وكذلك ما جاء في السنة النبوية من مثل قول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِى الطُّرُقِ)** [1].

6- **الخوف من لقاء الله تعالى في الدار الآخرة:** وهذا كما في قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ (المؤمنون: 60)، فهنا صدر سلوك وجل القلب من شخصية المؤمن بسبب خوفه من الآخرة وما فيها من حساب ولقاء الحق سبحانه.

7- **العامل التجريبي:** وتقصد الباحثة بهذا العامل أن هناك عوامل حسّية مثل السير في الأرض والمشاهدة والبحث والنظر اللمس والذوق وغيرها مما يتعلق بالتجريب الواقعي، كلها قد يكون لها تأثير واضح في السّلوك القلبي للشخصية من عقل القلب وفهمه ويقينه وقناعته وغيرها. وهذا كما في قوله تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: 46)، وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ

---

[1] مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا: ج4، ص2107، ح رقم: 2750.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (المائدة: 113)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: 260).

8- **العامل الطبي:** ويقصد به ما جاء في نصوص الشرع من إثبات أن لبعض العلاجات الطبية والأدوية الطبيعية من تأثير في شخصية الإنسان حيثُ تعمل على تعديل سلوك القلب بالاتجاه الإيجابي. ومن ذلك قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ)** [1]. فبين الحديث أن التّلبينة[2] تحدث تغييرا إيجابيا في شخصية المريض من كونها تذهب حزن القلب (الفؤاد) وتريحه.

9- **العامل الغيبي:** وتقصد به الباحثة في هذا السياق تحديداً، هو قدرة الله تعالى في التأثير في السّلوك القلبي للشخصية، ويعد هذا العامل من أخص العوامل التي يمتلكها التصور الإسلامي النفسي للشخصية الإنسانية والعوامل المؤثرة في وبنيتها وسلوكها، وهو عامل قد لاحظته الباحثة بعدد من سياقات النصوص المتعلقة بعمليات القلب، وكلها تدور حول إرادة الله تعالى وقدرته وفعله المؤثر في قلب الإنسان، ووجدت بأن عامل القدرة الإلهية يأتي على قسمين:

الأول: الإجمال كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:24). فالله تعالى بقدرته العظيمة يحول بين الشخصية الإنسانية وقلبها، وهو تأثير جاء على العموم.

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب التّلبينة للمريض، ج7، ص124، ح رقم: 5689. وتقدم شرح الحديث في المبحث السابق: علاقة السلوك القلبي بالظاهري

[2] تقدم شرح الحديث في المبحث السابق: علاقة السلوك القلبي بالظاهري

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني: التفصيل، وفيما يأتي عرضها دون تفصيل إلا إذا ضاق المعنى عن الوضوح:

- **قدرة الله في الربط على قلوب عباده عند الابتلاء.** كما في قوله تعالى:﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص: 10).
- **القدرة على التأليف بين القلوب.** كما في قوله تعالى:﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (آل عمران: 103)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: 63).
- **قدرة الله في تثبيت قلوب عباده المؤمنين.** كما في قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾(آل عمران: 8).
- **تحبيب الله الإيمان لقلوب عباده وتزيينه لهم.** كما في قوله تعالى:﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ ﴾(الحجرات: 7).
- **تنزيل أسباب ومؤيدات النصر للمؤمنين والربط على قلب المؤمن وتثبيته وتصبيره.** كما في قوله تعالى:﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾(الأنفال: 11)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: 126).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **توبة الله على عباده.** كما في قوله تعالى:﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾(التوبة: 117).

- **مشيئة الله في جعل القلب ليناً ورحيماً.** كما في قوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: 159). وكذلك من السنة النبوية: قول عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)** [1]، وقول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بكى لوفاة ابن بنته: **(هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ)**[2].

- **قدرة الله على تنقية القلوب مما فيها من الغيظ.** كما في قوله تعالى:﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(التوبة: 15).

- **قدرة الله على جعل الرأفة والرحمة في قلوب أتباع الأنبياء.** كما في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ (الحديد: 27).

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج8، ص 7، ح رقم: 5998.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته، ج2، ص79، ح رقم: 1284

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **قدرة الله في إنزال السكينة في القلوب**. كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح: 4).
- **مشيئة الله في هداية القلب نفسه**. كما في قوله تعالى:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن: 11).

ثانيا: العوامل السلبية المؤثرة في سلوك الشّخصية الباطني(القلبي).

والمقصود بهذه العوامل تلك المحددات والمؤثرات والموجهات التي لها أثر في تشكل السّلوك السلبي للقلب(انحراف العمليات القلبية للشخصية)، وكما أظهرت بذلك سياقات النصوص الشرعية المتعلقة بانحرافات عمليات القلب، وأطلقت عليها الباحثة العوامل السّلبية لما تحدثه من سلوك سّلبي، في مقابل العوامل الإيجابية التي تحدث السّلوك الإيجابي. وسيتم بيان جملة هذه العوامل بالطريقة نفسها التي تم فيها بيان العوامل الإيجابية، وقد اجتهدت الباحثة في تحديد العوامل السلبية الآتية:

1- **التكبر والتجبر**. ودليل هذا العامل المؤثر في تكوين السّلوك السلبي في القلب، هو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (غافر: 35). فتسبب تجبرهم وتكبرهم الذي يملأ شخصياتهم بأن طبع الله على قلوبهم، فأصبح سلوكهم القلبي الباطني يتصف بالقساوة والعمى والضلال والمجادلة الباطلة.

2- **الكفر وإنكار الوحدانية والآخرة**. ودليل هذا واضح في النصوص الشرعية من كون الكفر وما يلحق به من النفاق والضلال والتنكر لأركان الإيمان وحقوق الخالق يعد عاملاً قوياً في التأثير في بِنْية الشّخصية الكافرة وباطنها ونفسيتها وقلبها وتقبلها لعبودية غير الله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعلقها به، وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة: 88)، وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الزمر: 45)، وقوله تعالى:﴿ وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: 93)، وقوله تعالى:﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: 155).

3- **الكسب الذاتي للمعاصي والإرادة الذاتية للسلوك السلبي للقلب.** ويعد هذا من العوامل الذّاتية التي تعود إلى طبيعة الشّخصية وقابليتها للانحراف وتفضيلها للسلوك غير السّوي، وسعيها للكسب السيء، وهذا بلا شك يؤثر بقوة في السّلوك السلبي للقلب وتكوين سماته السلبية كذلك. وهذا كما في قوله تعالى في حق قوم موسى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(الصف: 5)، وقوله تعالى:﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين: 14)، وقوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾(فصلت: 5)، وقوله تعالى:﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾(الفتح: 26).

4- **الخضوع في القول.** وهذا العامل يتعلق بطبيعة العلاقة بين الرجال والنساء الغرباء عن بعضهم بعضا، فإنه يتوجب على المرأة أن تتكلم بلغتها الطبيعية دون تصنع أو تكلف حتى لا يؤثر ترققها بالكلام في باطن شخصية الرجال فينتج عنه سلوك غير سوي،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأصل هذا في قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾(الأحزاب:32)، يقول السعدي: "يقول تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ) خطاب لهن كلهن (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ)اللّه، فإنكن بذلك، تفقن النساء، ولا يلحقكن أحد من النساء، فكملن التقوى بجميع وسائلها ومقاصدها.فلهذا أرشدهن إلى قطع وسائل المحرم، فقال: (فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيثُ يسمعون فَتَلِنَّ في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع(الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح، فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم اللّه، فإن ذلك لا تكاد تُمِيلُه ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض. بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعوه إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه، فهذا دليل على أن الوسائل، لها أحكام المقاصد. فإن الخضوع بالقول، واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلِينَ لهم القول"[1].

5- **الخوف في الحرب والقتال**. وهذا عامل قوي قد يحدث في الشّخصية الإنسانية سلوك الخوف والفزع والجبن الذي يصيب القلب والباطن والصدر منها. ودليله قوله تعالى: ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾(الأحزاب:10)، قال الشوكاني: "(وَبَلَغَتِ القلوب) جمع حنجرة، وهي جوف الحلقوم، أي ارتفعت القلوب عن مكانها، ووصلت من الفزع والخوف إلى الحناجر، فلولا

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص663.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنه ضاق الحلقوم عنها، وهو الذي نهايته الحنجرة، لخرجت، كذا قال قتادة. وقيل: هو على طريق المبالغة المعهودة في كلام العرب، وإن لم ترتفع القلوب إلى ذلك المكان ولا خرجت عن موضعها ولكنه مثل في اضطرابها وجبنها. قال الفراء: والمعنى: أنهم جبنوا وجزع أكثرهم"[1].

6- **الخوف من قيام القيامة والبعث.** ودليله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (النازعات:6-8)، قال السعدي: "(يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) وهي قيام الساعة، (تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) أي: الرجفة الأخرى التي تردفها وتأتي تلوها، (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ)، أي: موجفة ومنزعجة من شدّة ما ترى وتسمع"[2] فأحداث القيامة تتسبب للشخصية الكافرة بسلوك قلبي غاية في السلبية من الخوف والفزع والانزعاج.

7- **دعاء الصالحين على أعداء الدعوة.** وهذا من العوامل المؤثرة في السّلوك القلبي السلبي للشخصية المعادية للدين، ودليله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ **(يونس: 88).**

8- **الفتن:** من العوامل المؤثرة في السّلوك القلبي للشخصية الإنسانية ما يعرض لها من الفتن التي أثبت النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا بد أن تمر على القلب وأنها محطته الأساسية، وأن هناك من يتقبل قلبه هذه الفتن فتؤثر سلباً في سلوكه الباطني والظاهري. ودليل هذا العامل هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ**

---

[1] الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج6، ص23.

[2] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص908.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ)[1]، وقد جاء في بعض أحاديث القلب نوع من ذكر الأمثلة لفتن الدنيا وإغراءات الحياة، كحبُّ الدنيا والمال، وطول الأمل، وحب المال. ودليله قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ)**[2]. وفي رواية أخرى: **(قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ طُولُ الْحَيَاةِ وَحُبُّ الْمَالِ)**[3]. فمثل هذا العامل الذي ظاهره أنه يديم حيوية القلب ونشاطه وتفاؤله، ويساعد الشّخصية على الاستمرار بالعطاء لكنه يحذر من غفلة القلب عن الاستعداد للآخرة والإغراق في الدنيا.

9- **الجهل.** فالجهل عامل مؤثر سلبا في السّلوك القلبي للشخصية، ودليل ذلك قول رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(وَلَولا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ)**[4]. فحداثة عهد قريش بالإسلام وجهلهم بحقائق الوحي قد تسبب أن تنكر قلوبهم وتسخط من قيام النبي صلى الله عليه وسلم بتعديل بناء الكعبة.

10- **الاختلاف.** وهو عامل قوي الأثر في السّلوك القلبي للشخصية، إذ ينعكس الاختلاف الظاهري بين الشخصيات المتعددة على القلب ونزغاته وميوله واتجاهاته من حب وكره وألفة ونفور. ودليل هذا العامل هو قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(1) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبا وأنه يأزر بين المسجدين، ج1، ص 128، ح رقم: 144.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة أعذر الله إليه في العمر، ج8، ص89، ح رقم: 6420.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة أعذر الله إليه في العمر، ج8، ص89، ح رقم: 6420.

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ج2، ص146، ح رقم: 1584.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِنِى مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) [1]. وقول رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)** [2]. وتطبيقات هذا العامل واضحة في أداء الصلاة جماعةً، وفي الاجتماع على قراءة كتاب الله. وكيف أن اختلاف الجماعة الظاهري يؤثر سلباً على تآلف قلوبهم.

11- **العامل الغيبي:** وتقصد به الباحثة في هذا السياق تحديداً، هو قدرة الله تعالى في التأثير في السّلوك السلبي القلبي للشخصية غير المهتدية، ويعد هذا العامل من أخص العوامل التي يمتلكها التصور الإسلامي النفسي للشخصية الإنسانية والعوامل المؤثرة سلباً في بنيتها وسلوكها، وهو عامل قد لاحظته الباحثة بعدد من سياقات النصوص المتعلقة بانحراف عمليات القلب، وكلها تدور حول إرادة الله تعالى وقدرته وفعله المؤثر في باطن الشّخصية (قلبها تحديداً) وذلك وفقا لحكمته وعلمه وعدله سبحانه. وفيما يأتي عرض لها دون الدخول في التفاصيل إلا إذا ضاق المعنى عن الوضوح:

- **قدرة الله في صَرْف القلب عن الانتفاع بسبب نفاقه وكفره.** وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة: 127).
- **تغطية الله على القلب وتعطيل إمكاناته وقدراته على الفقه النافع بسبب الإعراض والتجاهل.** وأدلة هذا العامل واضحة كما في قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ

---

[1] مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام إليها وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام، ج1، ص 323، ح رقم: 432.

[2] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن: باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، ج6، 198، ح رقم: 5060.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ ﴾ (الكهف: 57)، قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ ﴾ (الأنعام: 25)، قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ ﴾ (الإسراء: 46).

- **قدرة الله في الختم على القلب والطبع عليه.** وقد وجدت الباحثة أن أدلة هذا العامل هي الأكثر من بين العوامل، ولله تعالى الحكمة البالغة في أن يؤثر في البِنْية الداخلية(عنصر القلب) للأشخاص الذين يستحقون ذلك بحيثُ يطبع عليها ويختمها فلا تستجيب للإيمان ولا تنتفع بالوحي؛ لما في نفوس أصحابها وعقولهم ونياتهم من أحقاد وكفر ونفاق ومرض وخبث يستحقون به ظهور مثل هذا السّلوك السلبي والسّمات السلبية لقلوبهم. ومن أدلة هذا العامل: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾(البقرة:6-7)، يقول السعدي: "يخبر تعالى أن الذين كفروا، أي: اتصفوا بالكفر، وانصبغوا به، وصار وصفا لهم لازما، لا يردعهم عنه رادع، ولا ينجع فيهم وعظ، إنهم مستمرون على كفرهم، فسواء عليهم أأنذرتهم، أم لم تنذرهم لا يؤمنون، وحقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة إلا إقامة الحجة، وكأن في هذا قطعا لطمع الرسول صلى الله عليه وسلم في إيمانهم، وأنك لا تأس عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات.ثم ذكر الموانع المانعة لهم من الإيمان فقال: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ) أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان، ولا ينفذ فيها، فلا يعون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم"[1]. وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ

[1] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ (الجاثية: 23)، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ (المنافقون: 3)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ (محمد: 16) وقوله تعالى: ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ (التوبة: 87) وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: 101)، قال صاحب المنار: "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ أَيْ: مِثْلَ هَذَا الَّذِي وُصِفَ مِنْ عِنَادِ هَؤُلَاءِ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ، وَعَدَمِ تَأْثِيرِ الدَّلَائِلِ وَالْبَيِّنَاتِ فِي عُقُولِهِمْ، يَكُونُ الطَّبْعُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ صَارَ الْكُفْرُ صِفَةً لازِمَةً لَهُمْ، بِحَسَبِ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى فِي أَخْلَاقِ الْبَشَرِ وَشُئُونِهِمْ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَأْنَسُوا بِالْكُفْرِ وَأَعْمَالِهِ؛ حَتَّى تَسْتَحْوِذَ أَوْهَامُهُ عَلَى أَفْكَارِهِمْ، وَيَمْلَأَ حُبُّ شَهَوَاتِهِ جَوَانِبَ قُلُوبِهِمْ، وَيَصِيرَ وِجْدَانًا تَقْلِيدِيًّا لَهُمْ، لا يَقْبَلُونَ فِيهِ بَحْثًا، وَلا يَسْمَعُونَ فِيهِ نَقْدًا، فَيَكُونُ كَالسِّكَّةِ الَّتِي طُبِعَتْ فِي أَثْنَاءِ لِينِ مَعْدَنِهَا بِصَهْرِهِ وَإِذَابَتِهِ ثُمَّ جَمَدَتْ فَلا تَقْبَلُ نَقْشًا وَلا شَكْلاً آخَرَ"[1]. وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (يونس: 74)، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾(غافر: 35). ومن **الأدلة من السنة النبوية على هذا العامل:** قول رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ**

[1] رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج9، ص30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ)[1]. فالله تعالى بعدله وقدرته يختم على قلب تلك الشّخصية المسلمة المصرة على ترك صلاة الجمعة بلا عذر شرعي.

- **قدرة الله في إلقاء الله الرعب في قلوب الأعداء.** ودليل هذا العامل قول الله تعالى:﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال: 12)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ (الأحزاب: 26).

- **جعل الله الحسرة والندم في القلب.** ودليل هذا العامل قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(آل عمران: 156)

- **قدرة الله ومشيئته في جعل القلب غافلاً.** ودليل هذا العامل قول الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (الكهف:28)

- **قدرة في جعل الله القلب قاسياً.** ودليل هذا العامل قول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا

[1]مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة، ج2، ص 591، ح رقم: 865.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذُكِّرُوا بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(المائدة: 13).

- **جعل الله النفاق في القلب بسبب إخلاف الوعد معه سبحانه.** ودليل هذا العامل قول الله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (التوبة: 77٧٧).

- **زيادة الله القلب مرضاً.** ودليل هذا العامل قول الله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة: 10).

- **عدم إرادة الله تطهير القلب وتزكيته.** ودليل هذا العامل قول الله تعالى في حق اليهود والمنافقين: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة: 41).

- إزاغة الله **للقلب.** ودليل هذا العامل قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (الصف: 5). قال ابن عاشور: "وَالزَّيْغُ: الْمَيْلُ عَنِ الْحَقِّ، أَيْ لَمَّا خَالَفُوا مَا أَمَرَهُمْ رَسُولُهُمْ جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغًا، أَيْ تَمَكَّنَ الزَّيْغُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فَلَمْ يَنْفَكُّوا عَنِ الضَّلَالِ"[1].

[1] رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج9، ص30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ إمكانية تعديل السّلوك القلبي.

تعريف تعديل السلوك القلبي:

يعرف "تعديل السّلوك" في الاصطلاح العام بأنه: "التغير المقصود والمرغوب فيه، المراد إحداثه في سلوك الفرد"[1]، وهذا التغيير يختلف "باختلاف الهدف من برنامج التعديل الذي يتم توظيفه؛ فقد يكون الهدف منه تشكيل سلوك أو عادة جديدة لدى الأفراد، أو أحداث مَحْو في سلوك واستبداله بسلوك جديد، أو تطوير في سلوك معين وتحسينه"[2]. ويعرف تعديل السّلوك من منظور إسلامي بأنه "عملية واعية تؤدي إلى إحداث تغيرات في السّلوك الإنساني، وتنمّي مظاهر السّلوك الإيجابي، وتقضي على مظاهر السّلوك السّلْبي بما يتفق مع أسس ومبادئ العقيدة الإسلامية، وحاجات النفس البشرية"[3].

وتقصد الباحثة **بتعديل السلوك القلبي للشخصية:** إمكانية إحداث تغيير ايجابي للأنشطة التي يقوم بها القلب لتنتقل من الحالة السّلبية إلى الإيجابية أو لتنمي الحالة الإيجابية إلى درجة أرقى.

جملة من الدلائل على إمكانية تعديل السلوك القلبي:

يتمثل هذا التطبيق بالفكرة الآتية: إمكانية تعديل السّلوك القلبي. فبما أنه ثبت وجود عوامل تؤثر في السّلوك القلبي للشخصية فهذا يعني بالضرورة إمكانية تعديل السّلوك القلبي للشخصية. وهذا الفقه غاية في الأهمية، لأنه يرفض النظرة إلى السّلوك القلبي على أنه ثابت وجامد

---

[1] الزغول، عماد، نظريات التعلّم، ص98.

[2] الزغول، عماد، نظريات التعلّم، ص98.

[3] الشريفين، عماد، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، ص75 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصعب تغييره. فالحالة القلبية وفقا للتصور النفسي الإسلامي هي حالة متغيرة، وأنّ لدى القلب قابلية التعديل لسلوكه. ويمكن للباحثة تقديم جملة من الدلائل على ذلك من خلال ما تقدم من مباحث الدراسة ومن خلال مزيدٍ من النظر في النصوص المتعلقة بالقلب في القرآن والسنة، فمن ذلك:

- **أنه ثبت نسبة عمليات تربوية إيجابية للقلب. كالوجل ونسبة انحرافات في تلك العمليات كالغل.** وعليه، فيمكن للشخصية تزكية قلبها بالإقبال على العمليات التربوية المشروعة والابتعاد عن تلك الانحرافات المذمومة شرعا، وهذا يعني حصول تعديل في السّلوك القلبي. وذلك الحال في ثبوت سمات إيجابية للقلب وأخرى سلبية.
- **أنه ثبت وجود عوامل إيجابية وأخرى سلبية تؤثر في السّلوك القلبي للشخصية.** وعليه، فالذي يرغب بزيادة نسبة سلوكه القلبي (الباطني) الإيجابي ما عليه إلا أن يُعرّض الشّخصية لمزيد من تلك العوامل. والذي يرغب بالتخلص من السّلوكات القلبية السلبية ما عليه إلا أن يخفف من نسبة تعرضه للعوامل السلبية وأن يزيد عدد الإيجابية.
- **أنه ثبت في النصوص الشرعية ما يدل صراحة على إمكان تعديل السّلوك القلبي من حيثُ بيان أن القلب لا يمكن أن يكون ثابتا على حال واحدة غير قابلة لأي تعديل.** لأن ذلك يتنافى مع طبيعة التكليف الشرعي المبني على وجود إرادة واختيار لدى الإنسان. ومن الأدلة الشرعية المؤكدة لذلك: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:24) وهذا في العموم، ومثال في الخصوص قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: 103). فكان سلوك القلوب هو التنافر والتباغض ثم أصبح هو التآلف والتواد

- **أنه قد ثبت تعدد سلوك القلب مع ورود عامل واحد عليه.** وهذا من الأدلة القوية على تغيير السّلوك القلبي ومرونته وإمكان تعديله وأنه لا يثبت على طبيعة واحدة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: 28)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(الزمر: 45). فهنا اختلف سلوك القلب بين سلوك الطمأنينة وسلوك النفور والاشمئزاز، مع أن العامل الذي ورد على القلب هو واحد وهو ذكر الله تعالى، فقلب قبل وآخر تنكّر. فدل هذا على تعدد سلوك القلب وإمكانية تغييره وتعديله. وكذلك الحال مع سماع آيات الله فقلوب تزداد إيماناً وقلوب تزداد رجساً ومرضاً. وكذلك في اجتماع سلوك الخشوع ونقيضه القسوة في سياق قرآني واحد، وهو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد: 16).

- **أنه قد ثبت في النصوص الشرعية المتعلقة بالقلب ما يدل على مسؤولية الشّخصية عن سلوكها القلبي.** وهذا قد يكون من الاستنتاجات الدقيقة من تلك النصوص التي وقفت عليها الباحثة وترى كذلك أنها تشكل خصوصية للتصور التربوي الإسلامي للسلوك الصادر عن بِنْية الشّخصية الظاهرة والباطنة. فمن أدلة ذلك، قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات: 3)، وقول الله تعالى:﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب: 5)، وقول الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (البقرة: 225). وكلها تشير إلى تحمّل الشّخصية المسؤولية عن سلوكها القلبي المتعمد وأن القلب محل امتحان ومسؤولية، ولا يمكن أن تكون هناك مسؤولية ما لم تكن هناك إمكانية لتعديل السّلوك أو لقبوله ورفضه.

- **أنه قد ثبت في النصوص الشرعية المتعلقة بالقلب ما يدل على مقابلة السّلوك القلبي بالجزاء.** والجزاء لا يكون إلا على سلوك لنا فيه إمكانية قبوله أو رفضه. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح: 18). فالجزاء هو السكينة، والسّلوك القلبي هو الرضا بحكم الله والخضوع له والصبر عليه. وكذلك جزاء النجاة لمن استقام قلبه واستسلم لله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: 89)، ومنه كذلك قول رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِى قُرْبَى وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...)** [1].
- **أنه ثبت وجود أدلة جامعة من السنة النبوية على إمكانية تعديل السّلوك القلبي.** قول رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ**

[1] مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج4، ص2197، ح رقم: 23865.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)[1]. فالنص يبين وبوضوح أن القلب قد يكون مجمع الصلاح(السّلوك المستقيم)، وقد يكون مجمع الفساد(الانحراف عن الصراط المستقيم). فدلّ هذا على إمكانية أن تنتقل الشّخصية بين الحالين بحسب مرادها والمؤثرات عليها. وهذا يعني قابلية حال القلب للتعديل.

المبحث الرابع: التطبيقات في بِنْية الشّخصية من حيثُ أثر السّلوك القلبي في تصنيف الشّخصية.

يمكن من خلال ما تقدّم من دراسة للعمليات التربوية للقلب وانحرافاتها وسماتها والعوامل المؤثرة في السّلوك القلبي في القرآن والسنة تصنيف الشّخصية الإنسانية[2] وفقاً لمعيار التربية الإسلامية إلى صنفين، هما:

الصنف الأول: الشّخصية السّوية: ويقصد بها تلك الشّخصية التي حافظت على سلامة بنيتها الباطنية(عنصر القلب تحديداً) من حيثُ استقامتها على العمليات التربوية (الإيجابية) للقلب التي جعلها الوحي مطلبا شرعيا.

وعليه، فمن محددات الشّخصية السّوية في التربية الإسلامية وعلم النفس الإسلامي، هي تلك الشّخصية التي تحافظ على جملة من العمليات التربوية القلبية (سلوكات باطنة مشروعة) التي نسبت للقلب تحديداً في نصوص القرآن والسنة، بصورة متزنة بعيدة عن الإفراط والتفريط. لتشكل بذلك أيضاً معياراً يمكن من خلاله الحكم على الشّخصية بأنها سوية. ومن جملة هذه

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، ج 1، ص20، ح رقم 52.

[2] هناك عدة اتجاهات في تصنيف الشّخصية الإنسانية وفقا لمعايير مختلفة، للتوسع حول هذا الموضوع: ينظر: جابر، جابر عبد الحميد. نظريات الشّخصية، والتل، شادية، الشّخصية من منظور نفسي إسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العمليات التربوية: تقوى القلب، وخشوعه ونقاؤه ورحمته ورأفته وإيمانه وعقله ويقينه وفقهه وجله وصبره وإخباته وأُلْفَته، وإنابته وحزنه ورقته ونوره، وغيرها مما تقدم[1] ذكره وشرحه.

وتفيد دراسة السّمات الإيجابية للقلب كما تقدمت في الفصل الثاني، أن الشّخصية السّوية التي قامت فيها العمليات التربوية(الإيجابية) للقلب تؤدي إلى ظهور مثل تلك السّمات الإيجابية في هذه الشّخصية، وذلك بفعل السّلوك المتكرر، يجعل لتلك الشّخصية سمات معينة تعرف بها كنمط لها، ويمكن تحديد عدد من السّمات القلبية الإيجابية للشخصية السّوية، من ذلك: سِمة السكينة وسِمة السلامة وسِمة الطمأنينة وسِمة البياض(بياض القلب)[2].

ويمكن من مجموع هذه السّمات تحديد نمط عام لتلك الشّخصية المتصفة بهذه السّمات بأنها **الشّخصية المهتدية.**

الصنف الثاني: الشّخصية غير السّوية: ويقصد بها تلك الشّخصية التي لم تحافظ على سلامة بنيتها الباطنية(عنصر القلب تحديداً) حيثُ وقع منها انحراف في العمليات التربوية للقلب التي أنكر الوحي تَلبّس القلب بها. وتشكل هذه الانحرافات معياراً أساسياً للحكم على الشّخصية الإنسانية بأنها غير سوية من منظور تربوي إسلامي.

ومن جملة تلك الانحرافات في العمليات التربوية للقلب التي تعد مؤشرا قويا على حالة اللاسّواء في الشّخصية الإنسانية: اختلاف القلب وارتيابه واشمئزازه وتكذيبه وتردده وجزعه وهلعه وحسرته وشكه وزيغه وغله ولهوه وفجوره وكفره وفزعه[3].

وتفيد كذلك دراسة السّمات السلبية للقلب كما تقدمت في الفصل الثالث، أن الشّخصية غير السّوية التي قامت فيها جملة هذه الانحرافات في العمليات التربوية للقلب قد أدت إلى ظهور

---

[1] ينظر المبحث الخاص بالعمليات التربوية للقلب من هذه الدراسة.

[2] ينظر المبحث الخاص بالسمات الايجابية للقلب من هذه الدراسة.

[3] ينظر المبحث الخاص بانحراف العمليات التربوية للقلب من هذه الدراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مثل تلك السّمات السلبية في هذه الشّخصية؛ لأن السّلوك الباطني(القلبي) السلبي المتكرر لا بد أن يجعل سمات معينة لتلك الشّخصية تعرف بها كنمط لها، ويمكن تحديد عدد من السّمات السلبية للشخصية غير السّوية، من ذلك: سِمة القسوة والختم والطبع والغفلة والمرض والإغلاق[1].

ويمكن من مجموع هذه السّمات تحديد نمط عام لتلك الشّخصية المتصفة بهذه السّمات بأنها **الشّخصية الضّالة**.

وعليه، فإن دراسة العمليات التربوية للقلب وما تبعها من مسائل، يكون قد ساهم بشكل فعّال في تقديم مزيد من التصور النفسي الإسلامي للشخصية الإنسانية المستمد من القرآن والسنة، حيثُ كان للقلب أثره الواضح في توجيه عملية تصنيف الشّخصية الإنسانية وفقاً لما يقوم في القلب من عمليات وما تتشكل فيه من سمات، إضافة لما تقدم من تحديد مجموعة العوامل المؤثرة في السّلوك الباطني للشخصية التي تضاف إلى علم الشّخصية الذي يدرس العوامل المؤثرة في السّلوك الإنساني، وإثبات وجود علاقة بين السّلوك الباطني والسّلوك الظاهري، وتحليل أوجه هذه العلاقة وهو ما يضيف إلى علم دراسة السّلوك ضرورة مراعاة وجود علاقة بين البِنْية الباطنية للشخصية والبِنْية الظاهرية، ودور ذلك في تفسير السّلوك الإنساني وتوجيهه، كما أفادت التطبيقات السابقة العلم الذي يدرس تعديل السّلوك الإنساني بوجود سلوك للقلب وأن هذا السّلوك القلبي يمكن كذلك تعديله، وأن موضوع دراسة تعديل السّلوك لا ينبغي أن يقتصر على دراسة تعديل السّلوك الظاهري للشخصية بل يتعداه إلى تعديل السّلوك الباطني.

---

[1] ينظر المبحث الخاص بالسمات السلبية للقلب من هذه الدراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة.

وتشمل على ما يأتي:

أولاً: النتائج.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج تتلخص في الآتي:

- أن القلب مضغة لحمية صنوبرية داخل التجويف الصدري، ومُكَوّن باطني لبِنْية الشّخصية، يُغذي الجسد بالدم، ويقوم بالأعمال الباطنة: الانفعالية والإرادية والإدراكية كالقصد والتوكل والخشوع والمحبة والإدراك والتعقل والتفقه، وذو علاقة قوية بظاهر الشّخصية، تتبعه الجوارح في صلاحه أو فساده، تبعاً لتقلب أحواله وتغير اتجاهاته.
- أن لفظة الفؤاد هي الأقرب للفظة القلب من حيث المفهوم والمعنى، حيث إن الفؤاد يعني القلب ذاته، أو عين القلب وغشاؤه، وأن العلاقة بينهما تكاد تكون علاقة ترادف، بدليل وجود نصوص شرعية نسبت العملية التربوية تارة للقلب وتارة للفؤاد.
- أن بِنْية الشّخصية تتكوَّن من أربعة عناصر رئيسة هي: الجسد، الروح، العقل، والقلب، وأن الأخير منها (القلب) يحتل مكانة هامة بينها، إذ أن صلاح ظاهر الشّخصية مرتهن بصلاحه وفسادها بفساده.
- أن هناك عمليات تربوية للقلب تُعرَّف بأنها ما يُنسب إلى القلب من سلوك(نشاط) إيجابي يقوم به أو يقوم فيه.
- أن النصوص الشرعية الواردة في القرآن والسنة أثبتت في هذه الدراسة (34) عملية تربوية قلبية، منها على سبيل المثال عملية إخبات القلب وتعني خضوع القلب وخشوعه وطمأنينته مع التواضع لله عز وجل، وكمال الذلّ والعبادة المقترنة بالوجل الحاصل من الانتفاع بالوحي، وعملية خواطر القلب وتعني ما يرد على القلب من حديث أو أفكار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حول موضوع محدد، بحيث تشغله عن التفكير في غيره، وتقوده إلى اتخاذ سلوك ما قد يكون قولي أو فعلي، وعملية فقه القلب وتعني إدراك القلب وفهمه للشيء.

- أن هناك سمات تربوية للقلب وتعرَّف بأنها ما يتعلق بالقلب من صفات أو أحوال تدل على صحته وسلامته، حيث أثبتت النصوص الشرعية الواردة في القرآن والسنة أن هناك (5) سمات تربوية للقلب منها سِمة سلامة القلب وتعني أن يكون القلب خالياً من الشرك والشك ومحبة الشر والإصرار على البدعة والذنوب، وأن يتصف بصفات الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه، وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله وهواه تابع لما جاء عن الله، وسِمة طمأنينة القلب وتعني سكون القلب ويقينه الراسخ وثبات اعتقاده بما جاء به الوحي من الإيمان بالله وتوحيده ومعرفته وصفاته ووعده.
- أن هناك انحرافات في العمليات التربوية للقلب و تعرَّف بأنها ما يُنسب للقلب والفؤاد من سلوك سلبي يقوم به القلب والفؤاد أو يقوم في القلب والفؤاد.
- أن النصوص الشرعية الواردة في القرآن والسنة أثبتت أن هناك (31) انحرافاً في العمليات التربوية للقلب، منها على سبيل المثال انحراف إثم القلب ويعني الفجور والمعصية والإصرار على الذنب المتولد من سوء النية والقصد، وانحراف حمية القلب وتعني تعصب القلب واستكباره عن الآخر لتوهمه بأفضليته وميزته عليه بسبب القبيلة أو المكانة الاجتماعية وخلاف ذلك من دواعي التعصب المنبوذ، وانحراف غلُّ القلب ويعني الحسد والبغض، وهو نقيض المحبة والموالاة والنصح ونحو ذلك مما يكون بين المؤمنين.
- أن انحراف السّمات التربوية للقلب يعرَّف بأنه ما يتعلق بالقلب من صفات أو أحوال تدل على سقمه وسوء حاله، وأن النصوص الشرعية الورادة في القرآن والسنة أثبتت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(11) سِمة سلبية للقلب منها سِمة قفل القلب وتعني إغلاقه عن إدراك حقائق الإيمان والقرآن، مما يمنعه من التأثر بما فيهما من مواعظ تثير فيه حب الله وخشيته، وسِمة ران القلب وتعني تغطية القلب بغشاء يمنع عنه الإيمان والخير ويحول دون انتفاعه بالحق.

- أن النصوص الشرعية التي ورد فيها لفظة القلب أثبتت أن هناك علاقة بين السّلوك القلبي الباطني والسّلوك الظاهري، وأن هذه العلاقة لها صور متعددة منها: السّلوك القلبي مصدر للسلوك الظاهري، وانسجام السّلوك الظاهري السلبي مع السّلوك القلبي السلبي، وتناقض السّلوك الباطني مع السّلوك الظاهري للشخصية.
- أن هناك عدداً من العوامل الإيجابية المؤثرة في السّلوك القلبي منها الالتزام بأحكام الشريعة والدعاء وذكر الله، كما أن هناك عدداً من العوامل السلبية المؤثرة في السّلوك القلبي منها التكبر والتجبر والكفر والخضوع بالقول.
- أن النصوص الشرعية أثبتت إمكانية تعديل السّلوك القلبي بدليل أن القلب يقوم بعمليات إيجابية وأخرى سلبية، وبالتالي فإنه يمكن للإنسان أن يعدِّل السّلوك من سلبي إلى إيجابي.
- أن العمليات التربوية للقلب وسماته لها تأثير في تشكيل نمط الشّخصية فتكون إما مهتدية وإما ضالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: التوصيات.

توصي الدراسة مؤسسات التربية والتعليم وكليات علم النفس باعتماد قائمة العمليات التربوية للقلب وانحرافاتها وقائمة السّمات التربوية للقلب الإيجابية والسلبية وقائمة العوامل الإيجابية والسلبية المؤثرة في سلوك القلب في مناهجها التعليمية، وأن يعتمد علماء النفس نتائج الدراسة في فهم الشّخصية وبنائِها وتعديل سلوكها.

ثالثاً: المقترحات.

تقترح الباحثة ما يأتي:

- إجراء دراسة تربوية مفصَّلة حول العمليات التربوية الإيجابية للقلب وأثرها في بِناء الشّخصية المعتدلة.
- إجراء دراسة تربوية مفصَّلة حول الانحراف في العمليات التربوية للقلب وطرق علاجها في التربية الإسلامية.
- إجراء دراسة نفسية حول أثر التصَّور الإسلامي لسمات للقلب في تحديد أنماط الشّخصية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع

- ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي، **شرح العقيدة الطحاوية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1994م.
- ابن الأثير، مجد الدين، **النهاية في غريب الحديث والأثير**، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، 1979م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق: محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1975م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق: محمد الفقي، دار المعرفة، لبنان، د.ط، د.ت.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح **في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، تحقيق: علي بن محمد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 2000م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **الفوائد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1973.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **الوابل الصيب من الكلام الطيب**، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط3، 1999م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **تفسير القرآن الكريم(التفسير القيم)**، تحقيق مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار الهلال، بيروت، ط1، 1410هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دار المعرفة، لبنان، د.ط، 1978م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، دار السلفية، القاهرة، ط2، 1394هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، دار ابن كثير، دمشق، ط3، 1989م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2001م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م.
- ابن الملك، محمد بن عز الدين، **شرح مصابيح السنة للإمام البغوي**، تحقيق لجنة بإشراف نور الدين طالب، إدارة الثقافة العامة، ط1، 2012م.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **الاستقامة**، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط1، 1403هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1999م.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **الفتاوى الكبرى**، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، ط17، 1389هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **النبوات**، تحقيق: عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط1، 2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **أمراض القلوب وشفاؤها**، المطبعة السلفية، القاهرة، ط2، 1399هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبدالرحمن محمد، مجمع الملك فهد، السعودية، د.ط، 1995م.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط1، 1986م.
- ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1379.
- ابن رجب، زين الدين أبي الفرج، **فتح الباري**، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1422هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **شرح الأربعين النووية**، دار الثريا للنشر، د.م، د.ط، د.ت.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، **شرح رياض الصالحين**، دار الوطن، الرياض، د.ط، 1426هـ.
- ابن فارس، أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.م، د.ط، 1979م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد، دار طيبة، د.م، ط2، 1999م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- أبو إسماعيل الهروي، عبدالله بن محمد، **منازل السائرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- أبو السعود، محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، د.م، د.ط، د.ت.
- أبو الطيب القنوجي، محمد صديق خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1992م.
- أبو الفضل، القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط1، 1998م.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1420هـ.
- أبو طالب المكي، محمد بن علي، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، تحقيق: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.
- أحمد، علي بهلول، **منهج القرآن الكريم في تحقيق الصحة النفسية: دراسة تأصيلية**، الدار العثمانية للنشر، عمان، ط1، 2011م.
- الأصفهاني، الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: مصطفى العدوي، مكتبة فياض، المنصورة، ط1، 2009م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبدالباري عطيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الأمير، محمد بن إسماعيل، **التحبير لإيضاح معاني التيسير**، تحقيق: محمد حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2012م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- بركات: صالح سلامه،1995م، **العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد–الأردن.
- البرماوي، شمس الدين، **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1، 2012م.
- البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، دار طيبة، ط4، 1997م.
- البقاعي، أبو بكر إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآي والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1995م.
- التركي، ناصر عبدالله ناصر، **الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها**، مكتبة فهد الوطنية، السعودية، د.ط، 2006م.
- الترمذي، محمد بن علي، **بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللّب**، تحقيق: يوسف مرعي، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، الأردن، د.ط، 2009م.
- التل، شادية أحمد، **الشخصية من منظور نفسي إسلامي**، دار الكتاب الثقافي، الأردن، د.ط، 2006م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- التل، شادية أحمد، **علم النفس التربوي في الإسلام**، دار النفائس، عمان، ط1، 1425هـ-2005م.
- توفيق، محمد عزّ الدين، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية**، دار السلام، القاهرة، ط1، 1988م.
- جابر، جابر عبد الحميد، **نظريات الشخصية**، القاهرة، دار النهضة العربية، 1986م.
- الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1893م.
- الجوزو، محمد علي، **مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1983م.
- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبدالرزاق المهداي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.
- الحازمي، ابراهيم، 2008م، **التربية القلبية في الإسلام ودور المعلم في تحقيقها**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- قسم الدراسات الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة- السعودية.
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، **معالم السنن شرح سنن أبي داوود**، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1351هـ.
- خطاطبة، عدنان مصطفى، **بنية الشخصية الإنسانية ومحدداتها وسماتها عند ابن تيمية**، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض- السعودية، م21، 2009م.
- خطاطبه، عدنان مصطفى، **الأصل النفسي للتربية الإسلامية: مفهومه ومرتكزاته ودلالاته التربوية**، بحث منشور، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، شؤون البحث العلمي والدراسات العليا، الجامعة الإسلامية، غزة، م21، ع4، 2013م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الخطيب، جمال، **تعديل السّلوك الإنساني**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1 ،2003م .
- الرحباوي، سعيد حاج مطلق، **حقيقة القلب من الكتاب والسنة**، مؤسسة الرسالة، د.م، ط1، 2007م.
- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، **الهيئة المصرية العامة للكتاب**، مصر، د.ط، 1990م.
- الزبيدي، مرتضى محمد، **تاج العروس في جواهر القاموس**، دار الهداية، د.م، د.ط، د.ت.
- الزحيلي، وهبه بن مصطفى، **التفسير الوسيط**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ.
- الزرقاني، محمد عبد الباقي، **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، تحقيق: طه سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2003م.
- الزغول، عماد، **نظريات التعلّم**، دار الشروق، عمّان، ط1، 2003م.
- السرخي، إبراهيم محمد، **السّلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي**، د.ن، د.م، ط1، 2002م.
- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
- سليم، مريم، **علم نفس النمو**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2002م.
- سليمان، حسين حسن، **السّلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية**، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 2005م.
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، **تفسير القرآن**، تحقيق: غنيم بن عباس وياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- السيوطي، جلال الدين، **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1996م.
- الشافعي، محمد علي بن محمد، **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، دار المعرفة لبنان، ط4، 2004م.
- الشربيني، زكريا، والفقي، إسماعيل، ومنصور، عبد المهدي، **السّلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس**، مكتبة الأنجلو، القاهرة، د.ط، د.ت.
- الشريفين، عماد، **تعديل السّلوك الإنساني في التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد،2002م.
- الشريفين، عماد، **نحو بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني**، دار عماد، عمان، ط1، 2010.
- الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، د.م، د.ط.، 1997م.
- الشوكاني، محمد بن علي، **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين**، دار القلم، بيروت، ط1، 1984م.
- الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، د.ن، د.م، د.ط، د.ت.
- صقري، سعود بن حمد، **مرض القلوب وشفاؤها عند شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم: جمع ودراسة**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد 14، العدد23، 2001م.
- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، د.م، ط1، 2000م.
- طه، فرج عبد القادر، **أصول علم النفس الحديث**، دار قباء، القاهرة، د.ط، 2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، 1364هـ، ص 549. 551 .
- عبد العال، حسن إبراهيم، **مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية التربية والطبيعة الإنسانية**، دار عالم الكتب، الرياض، د.ط، 1985م.
- عبدالعال، محمد عبدالمجيد، **السّلوك الإنساني في الإسلام**، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007م.
- عز الدين توفيق، محمد، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية**، دار السلام، القاهرة، ط1، 1988م.
- علي، علي أحمد، **أساسيات سلوك الإنسان**، مكتبة عين شمس، مكتبة عين شمس، القاهرة، د.ط، د.ت.
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، **شرح سنن أبي داوود**، تحقيق: خالد إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1999م.
- العيني، بدر الدين أبو محمود محمد بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، د.ت.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو ظاهر، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م.
- القاري، علي بن محمد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر، بيروت، د.ط، 2002م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- القحطاني: سهير عيسى،2007م، **القلب وما في معناه في سياقات القرآن المختلفة: دراسة بلاغية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات أقسام الآداب، جامعة الملك خالد، أبها– السعودية.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
- قطب، سيد إبراهيم، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط17، 1412هـ.
- قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، دار الشروق، بيروت، ط16، د.ت.
- القيسي، مروان إبراهيم، **الدافعية النفسية في العقيدة الإسلامية**، مجلة جامعة الملك سعود، مجلة جامعة الملك سعود، م10، 1998م.
- القيسي، مروان، **الشخصية بين نظريات علم النفس والعقيدة الإسلامية**، بحث منشور، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، م14، ع1، 1998.
- الكفوي، أيوب بن موسى، **الكلّيات معجم في المصطلحات بالفروق الفردية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
- الكيلاني، ماجد عرسان، **أهداف التربية الإسلامية**، دار القلم، د.م، ط1، د.ت.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، **أدب الدنيا والدين**، دار مكتبة الحياة، د.م، د.ط، 1986م.
- المباركفوري، عبيد الله بن محمد، **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الهند، ط3، 1984م.
- المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار االكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، القاهرة، د.ط، د.ت.
- المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، مص شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ط1، 1946م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- مكروم، عبد الودود، **الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1416هـ - 1996م.
- نجاتي، محمد عثمان، **الحديث النبوي وعلم النفس**، دار الشروق، القاهرة، ط4، 2000م.
- نجاتي، محمد عثمان، **القرآن وعلم النفس**، دار الشروق، القاهرة، د.ط، 1982م.
- النووي، محي الدين يحيى، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
- الولوي، محمد بن علي، **ذخيرة العقبى في شرح المجتبى**، دار المعراج الدولية، د.م، ط1، 2003م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The Study aimed to explain the education processes of the heart and their deviation and it is characteristics which it related to the heart and their applications in the personal structure of humanity in terms of jurisprudence behavior. And that is by answering the study question, namelly : what is the concept of heart? What is the position of the heart between the the human personality according to the Quran and sunnah? The second question is :what is the educational processes (positive) of the heart and it is characteristics that is resulting whereby the Quran and sunnah? The third question is : what is the deviation images in the educational processes of the heart and it is characteristics that is resulting according to the Quran and sunnah? The fourth question is :what is the application that the Quran and sunnahconcive of the heart to building the character as :the relationship between the internal behavior and external behavior , the factors that effect in internal (heart) personal behavior, and the possibility of adjusted/ modify and it is impact in the classification of character? More ever, the study used inductive and deductive approach. And one of the most important result of the study as follows :The heart is internal component of personal structure, it does the internal works :emotional, volitional, and cognitive, Also, it has a strong relationship with external personality.In addition to, the cardia word is closest to the word heart in terms of concept and meaning and the relationship between the two words are almost synonyms relationship. Also, the religious texts proved that : (34) heart educational processes, (31) a deviation in the educational processes of the heart, and (11) negative features of the heart. Furthermore, religious texts proved that is existence of a relationship between internal (heart)behavior and external behavior, also the presence of a number of positive and negative factors that effect in the internal

www.manaraa.com

(heart) behavior, and the ability to modify the internal behavior. As well as, the heart processes and it is characteristics influence in the formation of personal style. The study recommended educational institutions and faculties of psychology to adoption the list of processes and characteristics of the heart and their applications in educational approaches, under personal standing and building and modifying their behavior.

Key words : educational , processes , heart , cardia , human , personality , Islamic education , Islamic psychology

www.manaraa.com

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com